الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

شعبة الأنثروبولوجيا

التحولات الثقافية لظاهرة زيارة الأضرحة بالزيبان

(بين القداسة والسياحة)

-ضريح عقبة ابن نافع نموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (LMD) في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية

إعداد الطالب:

بركات حسام الدين

إشراف:

د. سليم مرنوني

السنة الجامعية: 2018/2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

شعبة الأنثروبولوجيا

التحولات الثقافية لظاهرة زيارة الأضرحة بالزيبان

(بين القداسة والسياحة)

-ضريح عقبة ابن نافع نموذجا-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (LMD) في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية

إعداد الطالب:

بركات حسام الدين

إشراف:

د. سليم مرنوني

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

إلى روح شقيقتي

إلى أمي وأبي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى أهلي وأصدقائي

إلى أساتذتي وأستاذاتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضيء للآخرين

إلى كل من علمني حرفا

أهدي ثمار اجتهادي راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

الشكر:

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدين، القائل في محكم التنزيل: "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" سورة يوسف، آية: 76 ... صدق الله العظيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه" ... رواه أبو داود

وأثني ثناء حسنا على والدَيَّ في كل مقام

وأيضا وفاءً وتقديراً وإعترافاً منيّ بالجميل، أتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتنا في مجال البحث العلمي

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور سليم دزيري

وأخيراً، أعبر عن إمتناني إلى كل من مدوا لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدراسة على أكمل وجه.

ح. بركات

الملخص:

إن ظاهرة زيارة الأضرحة لا تزال مستمرة إلى يومنا الراهن، وهي ظاهرة محفزة على دراستها لبحث أصولها وأسبابها ومظاهرها ووظائفها؛ وعوامل استمرارها. وقد ألقينا الضوء في هذه الدراسة على ظاهرة زيارة ضريح عقبة ابن نافع بمنطقة الزيبان، وعملنا على معالجة إشكاليتنا التي تمحورت حول: ما هي التحولات الثقافية لظاهرة زيارة الأضرحة؟ فتوصلنا إلى أن الزيارة قد عرفت تحولات ثقافية كثيرة مع محافظتها على استمراريتها، الضريح يزار من طرف العامة كما كان يزار في السابق؛ ولكن بنسبة أقل وذلك بسبب تراجع الإعتقاد بأثر زيارة الأضرحة، وأما أهل التصوف فقد حافظوا على الزيارة، مع ملاحظتنا إلى تراجعها عندهم أيضا؛ وذلك درءا للشبهة التي أثارها التيار السلفي، وقد نشأ نوع جديد من الزيارة؛ ألا وهو زيارة السياح، إذ أصبح الضريح قبلة لمختلف الأطياف من أجل التعرف على ثقافة الزيارة والتمتع بالنمط المعماري الأصيل لمسجد الضريح، وقد اتخذت الدولة جهودا كبيرة مؤخرا من أجل الإستثمار في مجال السياحة الدينية، باعتبار الجزائر أرضا غناء وقابلة للاستثمار في المجال.

Summary:

The phenomenon of visiting shrines It's still Existing In our current day, and it's a catalyst for studying; For research their origins; causes; forms; functions and the reasons for its continuation.

We have studied in this study the phenomenon of visiting SIDI OKBA'S shrine in the ZIBAN region, and we tried to solve our problematic; which were represented in: What are the cultural transformations of the phenomenon of visiting shrines?

We found it changed a lot! But it stayed generally. Number of people visitors is down because SALAFIS current, but the SOFITS keep doing their holy visit, and the government has decided to invest in religious tourism.

قائمة المحتويات:

الملخص

قائمة المحتويات

مقدمة

الفصل الأول: المدخل المنهجي للدراسة

الفصل الثاني: المفهومات الأساسية في البحث

الفصل الثالث: مدخل إلى تاريخ زيارة الأضرحة

الفصل الرابع: ضريح عقبة ابن نافع (شكل المزار وعمارته) (بالصور)

الفصل الخامس: زيارة الضريح بين الأغراض المقدسة والأغراض السياحية

الفصل السادس: المهرجان الدولي للسياحة الدينية

نتائج الدراسة

خاتمة

توصيات

المراجع

فهرست

مقدمة:

إن أهم ما يميز مجتمعات شمال إفريقيا هو نمط تدينها، فالمجتمعات المغاربية مجتمعات روحانية تهتم بالجوهر أكثر من الشكل، بالتربية الروحية أكثر من الجسدية، بهلامية التعامل مع الغيب أكثر من جمودها على النصوص... وليس هذا إلا بسبب بقايا الديانات القديمة في المنطقة؛ فمنذ زمن عبادة الكباش مرورا بمختلف الديانات السماوية والأرضية، ووصولا إلى الإسلام، عكف أهل شمال إفريقيا على مقربة من التمسك بالقديم أكثر من تبني الجديد، فكل ما يستجد عندهم دين جديد على مر الأزمنة سعوا جاهدين إلى التوفيق بينه وبين سابقيه؛ على الأقل من حيث الشكل، وظلوا هكذا حتى وصل إليهم الإسلام.

فكان من شدة حرصهم على الثوابت القديمة أن كيفوا بعضها مع الدين الجديد، فحبهم وإخلاصهم لأجدادهم بتمظهره في بناء القبور عليهم وتشييدها والإعتكاف عندها، تحول إلى شعيرة إسلامية أيضا عندهم، ولكن ليس الأجداد من هم في القبور وإنما أولياء الله الصالحون، فتخير الناس أصلح الناس وأزهدهم وأقضاهم لحوائج الناس ومنحوه تلك القيمة السامية، ولأن كل معتقد ديني تقريبا يقومه المعتقد والطقس والأسطورة، فقد حيكت حول هؤلاء الأولياء عدة أساطير سميت بالكرامات، وإن صحت بعضها إلا أن أكثرها مخترع؛ من أجل إضفاء جو القداسة والتبجيل للولي.

شيدت القبور إذًا على لحود هؤلاء الصالحين والعلماء الربانيين الذين لا ننكر لهم فضلا ولا علما. بل كانوا بحق من خير من سار على الأرض؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن كان للنبي معجزة فللولي قطرة منها تسمى الكرامة، خاصة وأن الاعتقاد بفضل آل بيت النبي ﷺ وتكريم الله لهم جعل الكثيرين يجعلون للولي نسبا بآل البيت حتى لو كان وهميا. والحقيقة أن المعتقد الشعبي لا يأبى إلا أن يحيك الأساطير؛ فإنه قد منح هؤلاء أشياء كثيرة زادت من قداستهم واعتقاد الناس بهم.

إن استخدامنا للفظ الدين أو المعتقد الشعبي يقتضي وجود دين رسمي، ولعل الباحثة التونسية زهية جويرو قد تحدثت عن ذلك باستفاضة في كتابها **"الإسلام الشعبي"**، فهي ترى أن التفريق بين الإسلام

الرسمي والذي يعني دين الفقهاء والعلماء والخاصة؛ والإسلام الشعبي الذي يمثل دين بقية الطبقات الاجتماعية والعامة، هو ظاهرة قديمة مترسخة قبل الإسلام؛ فهو موجود في مختلف التجارب الدينية التاريخية، فالدين الرسمي سواء في المجال المسيحي أو الإسلامي يستند إلى معايير دينية صنفت على أساسها عقائد العوام في باب البدع والخرافات؛ أو في باب الرواسب ذات المرجعيات الوثنية والجاهلية، لذلك اقترن استعمال لفظ **الدين الشعبي** لدى أصحاب هذا الموقف بدلالات خاصة سلبية رمي بسببها أصحابها بالكفر والزندقة والبدع[1].

إن ما ذكرناه مهم جدا لأجل معرفة اتجاه هذه الدراسة، فنحن نقدم بحثا أنثروبولوجيا يقدم ظاهرة زيارة الأضرحة كظاهرة دينية وثقافية لا تزال موجودة ضمن مجال دراستنا، نطرح فيها تساؤلاتنا لأجل فهم الظاهرة وإلقاء الضوء على أهدافنا من دراستها، من صميم اعتقاد وآراء مرتاديها أو مزاوليها أو من هم أقرب إليها، لا من وجهة نظرنا نحن؛ وليست الدراسة فقهية لبحث جواز أو عدم جواز الزيارة، وليست عقدية لنخلص إلى تكفير أو عدم تكفير أهلها، وليست في إطار الترويج لزيارة الأضرحة وما شابه ذلك... بل هي محاولة أنثروبولوجية بحكم تخصصنا الأكاديمي لإلقاء الضوء على الظاهرة ضمن الأطر التي وضعناها والأهمية والإشكالية والأهداف التي سنعمل عليها.

وعليه، كانت دراستنا في ستة فصول، خصصنا الفصل الأول للإطار المنهجي؛ وضعنا فيه تعريفا بالموضوع ودواعي الاشتغال عليه وأهميته، وطرحنا إشكاليتنا التي عملنا على إيضاح ما وراءها من خلال البحث، وأهدافنا والمقتضيات المنهجية التي استعملناها، وكذلك دراسة مشابهة كانت لنا موجها ودليلا.

وفي الفصل الثاني؛ خضنا مشوارا مع المفهومات الأساسية للبحث، وهي المفهومات التي كان لا بد من إلقاء الضوء عليها لتكون مفاتيح الولوج إلى الظاهرة المدروسة، وعرجنا في الفصل الثالث على تاريخ زيارة الأضرحة بشكل مقتضب في محاولة تأصيل للظاهرة وما يحيط بها.

وفي الفصل الرابع عرجنا على عمارة المسجد والبعد الذي تمثله، ثم خضنا في الفصل الخامس في زيارة الضريح، وبعدها إلى المهرجان الدولي للسياحة الدينية في الفصل السادس، فنتائج فخاتمة.

[1] زهية جويرو، الإسلام الشعبي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2007.

الفصل الأول: المدخل المنهجي للدراسة:

1- التعريف بالموضوع

2- دواعي الاشتغال

3- قيمة الموضوع وأهميته

4- الإشكالية

5- أهداف الدراسة

6- الإجراءات المنهجية للدراسة

7- مجالات الدراسة

8- الدراسات المشابهة

9- صعوبات الدراسة

1- التعريف بالموضوع:

كانت الأضرحة ولا تزال تلعب دورا اجتماعيا ذا أهمية كبيرة في أغلب بلدان العالم الإسلامي بصفة عامة والمنطقة المغاربية بصفة خاصة، لدرجة أن التعلق بها شكل ظاهرة ثقافية حقيقية، وهذا البحث ما هو إلا محاولة لتتبع التحولات الثقافية التي شهدتها هذه المؤسسات التي تشكل في جانب منها تراثا رمزيا في الزيبان على الأقل على امتداد القرن الماضي، واستقصاء العوامل التاريخية والاقتصادية والبيئية التي ساهمت في هذا التحول وخلفياتها الثقافية ليس في الزيبان فقط، وإنما في كامل المنطقة المغاربية.

أما من جهة التحولات الحاصلة على مستوى الممارسات التعبدية والشعائرية، وما يصحبها من طقوس... فإننا نروم إلى استجلاء هذه التحولات التي تتفق حينا وتختلف في أحايين كثيرة، وذلك بمقاربات أنثروبولوجية، تضع في الحسبان الجانب الوظيفي لهذه الممارسات و نسقها الثقافي.

وربما يتبادر إلى الذهن تساؤل حول الهدف من ربطنا في هذا البحث بين الجانب الوظيفي والمعماري؟ قلنا أن للزهاد والصوفيين الذين كانوا مع المرابطين والموحدين تأثيرهم الروحي المعتدل في فن البناء، بعد أن ساد البذخ والترف في البناء،وذلك نتيجة التأثير الأندلسي الممزوج بمسحة مشرقية. ولا زالت الكثير من مساجد الزوايا والأضرحة تحتفظ بمرجعيتها الثقافية على المستوى المعماري والوظيفي المتمثل في أداء العبادات وإقامة الشعائر والطقوس وبعض الوظائف الاجتماعية.

2- دواعي الاشتغال على الموضوع:

لابد أن يكون للباحث أسباب ذاتية تدفعه لدراسة أو معالجة إشكالية معينة، وكون بلدة سيدي عقبة منطقة استجمام واسعة جميلة يقصدها الكثير من الناس، خاصة في فصل الربيع، من داخل الولاية ومن خارجها وحتى من خارج الوطن، وتزامن ذلك مع الفترة النظرية من الدراسة كنت في حاجة لموضوع أبني عليه رسالة تخرجي، دفعني أستاذي إلى التفكير في الموضوع، فزرت هذه البلدة ورأيت الفضاء المقدس بها، فكان ميلي لمثل هذه المواضيع لما رأيته فيها من ممارسات وطقوس، وهذا ليس ببعيد عن تخصصي.

ومن الناحية الموضوعية فإن الموضوع يقع ضمن مقاربات عديدة، منها المقاربة الأنثروبولوجية فنحاول من الناحية العلمية تطبيق منهجية وآليات الأنثروبولوجيا لمعالجة إشكاليته محاولة منا لكسر "التابو" الذي عادة ما يصادف الباحث في الدراسات الميدانية لموضوع زيارة الأضرحة.

لذلك آثرنا النظر إلى الموضوع من جهة التحولات الثقافية للظاهرة بين القداسة والسياحة.

3- قيمة الموضوع وأهميته:

إن أهم حافز للبحث هو تحديد الهدف من البحث، حيث كلما كان الهدف واضحا كان العمل على الموضوع أسهل وأنجع، والخطوات أدق، والاستمرارية في العمل عليه أقرب إلى الواقع، فيكون المجهود المبذول لأجل تحقيق الهدف مقصودا ومنظما، والرغبة في الوصول إلى نتيجة ملموسة تجعل الباحث يبدع مختلف السبل لأجل تحقيق ذلك.

تبرز أهمية دراسة موضوع "**زيارة الأضرحة**" بصفة عامة وضريح عقبة بن نافع بصفة خاصة، في المجال المحدد للتعرّف إلى تاريخه ونشأته وتطوره وإلقاء الضوء على ماضيه وحاضره، باعتباره جزءا من التراث الوطني والإنساني، وقطاعا واسعا من العمارة والثقافة الدينية، ومصدرا من مصادر التغير والتحول الاجتماعيين، ودراسة هذه المؤسسات تعني دراسة ثقافة تميز بالطاقة الوثابة المتجددة، وتعني في الواقع الامتداد والأصالة.

إن البحث الإثنو ديني في موضوع المؤسسة الدينية، وتحديدا الأضرحة، يساعدنا على فهم أنماط التدين بالمنطقة المغاربية، الزيبان كعينة من هذه المنطقة، يمر بالضرورة عبر تعريف التدين الشعبي وتفسير دوره في حياة الفرد و أهميته في صوغ تمثلات المفاهيم الدينية في الوعي الفردي والجمعي، كما تكمن أهميته في تأسيس هوية دينية وروابط وديناميات تجعل من الدين ذاته أداة لفهم المجتمع وتفسير التحولات والتجاذبات القائمة فيه، وهذا المستوى يتطلب الاستعانة بالعديد من التخصصات العلمية السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، مقارنة الأديان...)، وذلك لأجل فهم الكثير من الممارسات ذات الصلة فهما علميا، من حيث مبانيها وخطابها ورمزيتها.

4- الإشكالية:

تنتشر الأضرحة بمدن وقرى الزيبان طولا وعرضا، بعضها يحظى بشهرة وزوار كُثر، مثل ضريحي سيدي عبد الرحمان الثعالبي وسيدي بومدين على المستوى الوطني، وضريحي خالد بن سنان وعقبة بن نافع على المستوى المحلي، و أخرى عفا عنها الزمن وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، يعدها الباحثون بمثابة "**أركيولوجيا**" تؤرخ لطبيعة التدين الشعبي في المنطقة وعموم البلاد المغاربية خلال الفترات التاريخية. يحدد هذا النوع من التدين الإسلام الطرقي في الزوايا ومختلف الفضاءات الدينية المقدسة، الامتداد جغرافيا وتاريخيا في تراث المجتمع المغاربي والجزائري.

ومن الناحية الوظيفية، ظلت الأضرحة مكانا يلتقي فيه الناس خلال المواسم والمناسبات ويتحادثون بينهم ويتزاورون. ومقصدا لعقد المناسبات الاجتماعية، مثل الزواج، كما كانت الأضرحة مكانا للصلح بين الأقارب والعائلات والقبائل المتنازعة، وعادة ما تعرف المساحات المحيطة بالأضرحة نشاطا تجاريا بخاصة في فترة "**الموسم**"، حيث يرتاد الكثير من الزوار الضريح. وكانت الأضرحة قديما تعد مكانا لعقود البيع والشراء، كما كانت تقدم الطعام والشراب للجائعين، بالإضافة إلى أنها كانت مقصد الفلاحين الذين يتبركون بها لنماء محاصيلهم الزراعية. ولا يقتصر الأمر على الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية فحسب، بل ارتبطت الأضرحة بالخصوبة بمعنييها الاقتصادي (**الأرض**) والجنسي (**النساء**).

لكن بمرور الوقت شهدت الأضرحة والمزارات تحولات عميقة في بنيتها الوظيفية وفي شكلها العمراني، فانتقلت من الوضع الذي كانت تشكل فيه جزءا من المقدس الديني، إلى الوضع الذي أصبحت فيه أماكن للاستجمام والسياحة والاستثمار السياحي. لقد أخذت أبعادا مختلفة عبر الزمان والمكان، انتقلت من البعد الديني الذي يتجسد في التبرك بها والتنفيس عن هموم الإنسان المغاربي والتواصل مع الخفي غير الظاهر في حياته، إلى بعد سياحي يتجسد في فوائد سياحية وتجارية للمدن والقرى التي توجد فيها الأضرحة.

ويندرج ضمن هذا الإطار ضريح عقبة بن نافع ببلدة سيدي عقبة، حيث يعتبر الضريح الوحيد في الزيبان تقريبا الذي لا زال يجلب إليه الزوار من كامل أنحاء الوطن، بل وفي بعض المواسم والمناسبات من خارج الوطن، لكن ليس لغرض التبرك به والإيمان بقداسته فقط وإنما يدخل ذلك أيضا في إطار

السياحة الدينية، حيث تحول المسجد الذي يتواجد به الضريح من فضاء كانت تقام فيه ممارسات وطقوس الزيارة، إلى فضاء للإستمتاع والاستجمام و أخذ الصور والذكريات. هذا ما يدفعنا إلى بسط الاشكالية التالية:

- ✓ **ما هي مظاهر التحولات الثقافية لزيارة ضريح عقبة ابن نافع؟**

وعليه نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

- **كيف يساهم الطابع المعماري لمسجد الضريح في استقطاب الزوار؟**
- **هل حافظت الزيارة على الأغراض المقدسة أم طغت عليها الأغراض السياحية؟**
- **ما هي مظاهر استغلال الدولة للضريح كمجال للاستثمار السياحي؟**

5- أهداف الدراسة:

- الكشف عن التحولات الثقافية لظاهرة زيارة الأضرحة.
- البحث عن قيمة الطابع المعماري ووظائفه المختلفة في المجال.
- محاولة الإطلاع على الزيارة وأغراضها خاصة المقدسة والسياحية.
- التعرف على جهود الدولة في رعاية الضريح وسبل استغلاله سياحيا.

6- الإجراءات المنهجية للدراسة:

أ. جمع المعطيات الإثنوغرافية:

❖ الإخباريون:

إن نجاح الدراسة الحقلية يتوقف إلى حد بعيد على حسن اختيارنا للإخباريين والتعاون معهم، فهم يمثلون حلقة الاتصال بيننا وبين المجتمع المبحوث طوال فترة الدراسة، ويعرّف **جاريك بايلي Garrik B** الإخباريين بالقول: **"إن الأشخاص الذين يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم، يسمون الخبراء أو الإخباريين"** [1]، والإخباريون هم الأشخاص العارفون

[1] عبد الله عبد الغني غانم، قراءات وتطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية2004، ص 117.

بالحدث أو موضوع البحث. [1] أجل قد يقدم أحد الإخباريين عونا كبيرا لنا، ولكن هل يكون لكل إخباري يقع الاختيار عليه نفس الاهتمام بالموضوع الذي نقوم ميدانيا بدراسته؟ ألم تعرف النساء عن بعض الموضوعات أكثر مما يعرفه الرجال؟ والعكس صحيح طبعا، ألم يكن كبار السن أكثر معرفة وإحاطة بالأساطير والخرافات والتاريخ والمشايخ، والعرف والعادات والتقاليد؟ لماذا يكون رجال الدين أكثر معرفة وخبرة من غيرهم في مجال المعتقدات والأديان؟ لماذا يكون غير مسموح للآخرين في بعض الأحيان معرفة الكثير من المعلومات ذات الصلة بهذه المجالات؟

إذن فإنه من بين الأساسيات في البحث الأنثروبولوجي حسب كبار الأنثروبولوجيين استخدام إخباريين رئيسيين من هذا النوع كمصادر للمعلومات على ثقافتهم، فالناس يتمايزون فيما بينهم بالنسبة إلى معرفتهم وتفسيراتهم لنظمهم الاجتماعية والثقافية، كما يختلف الناس في اهتماماتهم وقدراتهم على التعبير اللغوي، وبالتالي لا يجد الأنثروبولوجي إلا عددا قليلا من الأفراد يصلحون كإخباريين ملائمين، إن البعض من قدرات الإخباري يكتشفها الباحث ذاته أثناء تدريبه على تصوير المعلومات الثقافية في الإطار المرجعي الذي يستخ دمه.

يتعلم الإخباري بالتدرج قواعد السلوك في مواجهة الأنثروبولوجي، يقول عبد الله عبد الغني غانم: "**لو طال التعامل بينهما فربما يستخدم المفاهيم النظرية الخاصة بالأنثروبولوجي في تحليل ثقافته الخاصة**"[2]، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو: إلى أي مدى يبقى الإخباري متفاعلا مع الأنثروبولوجي الذي لعب دورا كبيرا في تدريبه وتعليمه للقيام بدور الشارح لثقافته؟ وما هي طبيعة الموضوعات التي يتجاوب ويتفاعل معها الإخباري أكثر من غيرها؟

لقد حاولنا قدر الإمكان تحليل فاعلية الإخباري أثناء دراستنا الميدانية التي أجريناها في ضريح سيدي عقبة، ووجدنا أن الإخباريين كانوا على مستوى من الثقة والفاعلية في إعطاء معلومات عن موضوعات محددة مثل: متى تم تأسيس هذا المسجد؟ كيف كان الضريح في

[1] معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الإجتماع دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان2004، ص 20.
[2] عبد الله عبد الغني غانم، مرجع سابق، ص118.

الماضي؟ ما هو الوقت المفضل للزيارة؟ إلى غير ذلك من الأسئلة المألوفة لديهم والتي يطرحها مختلف الزوار على القيمين على المسجد القديم والضريح المتواجد بداخله...

إن الإخباري يتفاعل مع الموضوعات الخاصة بالجانب التاريخي، الجوانب المعمارية للضريح، ثم تواريخ الأحداث الهامة في تاريخ المسجد القديم والضريح، لكنه يظهر اتفاقا أقل إذا تعلق الأمر بالأسئلة التقييمية مثل: هل ثمة أي تغير في التمسك بالممارسات القديمة في هذا المجتمع في العشر سنوات الأخيرة؟ أو ما نسبة الناس الذين يزورون الضريح ويؤدون طقوس معينة بداخله؟ عموما إن الثقة في الإخباريين مسألة احتمالية، ومعظم التأكيدات حول فعالية الإخباري انصبت على البحوث المسحية على المستوى الكبير، وليس في حالة المواقف التي تستخدم فيها المقابلة المركزة على مدى زمني كبير في مجتمعات صغيرة نسبيا.

ومن الطبيعي أن يميل الباحث إلى هذا الإخباري أو ذاك، ولكن عليه ألا يظهر ذلك وخاصة أمام الإخباريين الرئيسيين، لأن من شأن ذلك هدم كل الثقة التي تعب الباحث في بنائها بينه وبينهم، كما يجب عليه أن يعالج بحكمة وصبر المشكلات الناجمة من بعض الإخباريين، فقد يسيء أحدهم معاملة مواطنيه أمام الباحث، أو يجب أن يظهر دائما أمام الآخرين أنه ذو صلة وثيقة بالباحث، أو يهتم بالإنتقاص من قدر الإخباريين الآخرين وما يدلون به من بيانات، وقد يجد الباحث نفسه في بعض الأحيان مضطرا إلى إنهاء علاقته بإخباري معين يكون من شأن استمرار العلاقة معه الإساءة إلى عدد آخر من الإخباريين وفي بعض الأحيان قد يتطوع الإخباري بالحديث باسم الباحث مع المبحوثين وهذا خطأ. على الباحث أن يلاحظ ذلك و أن يسارع إلى تنبيهه لعدم التكرار.[1]

❖ **المقابلة الحرة:**

إن الدافع الأساسي لاستخدام الباحث لطريقة المقابلة هو رغبته في معرفة وجهة نظر مجتمع البحث لموضوع الدراسة، وعلى الباحث أثناء المقابلة أن يكون منتبها جيدا ليس لكلمات المبحوث فقط بل لحركاته وإيماءات وجهه، لأن المبحوث بدون شك قد يزيغ إلى

[1] فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي نشواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ للنشر، الرياض1988، ص 178.

الذاتية فيحاول إنصاف الظاهرة التي يتبناها وإخراجها في أحسن صورة حتى على حساب الحقيقة -**فلا يصدق الباحث كل شيء**-.

إذا كان من بين الأهداف الأنثروبولوجية لبحثنا استخلاص الجوانب الرمزية والثقافية للتحولات الثقافية التي شهدتها ظاهرة زيارة الأضرحة في ماضيها وحاضرها، وما تمثله هذه التحولات في الذاكرة الجماعية للإنسان المغاربي، فإن المقابلة وسيلة أساسية في تحقيق هذا الهدف، فالحوار ضروري في هذه الحالة. وإذا كانت المقابلة يمكن أن تكون موجهة أو غير موجهة، فإن النوع الثاني هو الأنسب في هذه الحالة لأنه يشتمل على الحديث العادي وتوجيه أسئلة ذات نهايات مفتوحة تتيح للفرد أن يبدي رأيه في كل الموضوعات المطروحة، كما يمكن أن يأخذ الحوار في بعض مراحله صورة جديدة يوجه فيه الفرد أسئلة إلى الباحث الذي يرحب بها لأنه يجد دلالات أخرى ذات فائدة له. لقد أطلعتنا كتب المنهجية الخاصة بالأنثروبولوجيا على تجربة "**مالينوفسكي**" في جزر التروبرياند، عندما سأل أحد الإخباريين عن موضوع يتعلق بالأساطير، لكن الإخباري خرج عن الموضوع، وتحدث كثيرا عن عشيرته متغاضيا عن محاولاته العديدة لإعادته إلى صلب الموضوع، ولكن "**مالينوفسكي**" تحقق بعد ذلك من أن ما رواه له الإخباري أكثر أهمية من الإجابة التي كان ينتظرها على سؤاله له. فمقابلة الباحث مع الإخباري -**حسب ما ترى «فتحية محمد ابراهيم»**- لا بد أن تتميز بالمرونة[1].

ب. منهج الدراسة:

تعبر كلمة منهج عن مجموعة القواعد التي تقود خطوات التفكير العقلي في سعيه نحو الكشف عن نتيجة أو نتائج معينة فالمنهج ضروري في أي مجال علمي، وتختلف قواعده باختلاف هذه المجالات، ففي مجال الأنثروبولوجيا كغيرها من العلوم نجد تعددا في المناهج بحسب التعدد في هذه المجموعات من قواعد البحث، ولكن تجمعها في نهاية الأمر كما ترى « **د فتحية محمد ابراهيم** » الطريقة الأنثروبولوجية في البحث والتي تمثل السمات العامة الأساسية لهذه الاتجاهات المنهجية

[1] فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي نشواني،نفس المرجع، ص109.

وتحتاج كل دراسة حقلية إلى المنهج أو المناهج الملائمة لموضوعها والنتائج التي تسعى إلى الكشف عنها، والنجاح في اختيار المنهج المناسب هو نجاح في سلوك الطريق المناسب.

البحث متعدد الوسائل أو المنهج التكاملي أو الدراسة الكلية هو السبيل الجديد الذي فتحته الدراسات الأنثروبولوجية في مجال البحوث الاجتماعية، فالدراسات الأنثروبولوجية ذات الطبيعة التدرجية تحتاج لأكثر من منهج ولأكثر من أسلوب من أجل الإحاطة التامة بموضوع البحث ولذلك فإننا في هذا البحث لم نقتصر على منهج واحد.

بناء على هذا يمكن لنا المواءمة بين العديد من الاتجاهات المنهجية في دراستنا هذه، وذلك بالقدر الذي يخدم أهداف الدراسة والبحث، وهي:

- **منهج الوصف المكثف:**

إن رصد وتحليل التغيرات الدينية بمجال الدراسة بالأساس يعتمد على المعطيات الميدانية والتاريخية التي يمكن لنا جمعها حول الموضوع. واستنادا على التصور الذي بسطه «**غيرتز**» ومن قبله ماكس فيبر، وهو التصور الذي يجعل من الدين مؤسسة اجتماعية، والعبادة نشاطا اجتماعيا، والاعتقاد قوة اجتماعية، ويرى أن الحياة الدينية لمجتمع ما ينبغي أن تبدأ من تحليل أنساق الدلالة التي يستعملها الفرد داخل الحياة الاجتماعية، سنقوم بتحليل حاضر الممارسات المختلفة في فضاء الضريح، وهي الممارسات التي تجسد في نظر «**غيرتز**» "**صورة الروحانية الحقيقية**" في أذهان أفراد المجتمع **(الزوار)** بغض النظر عن مستواهم الثقافي والطبقي. هذا الإجراء المنهجي يساعدنا من خلال تحليل صورة الولي كما يتمثلها ويتداولها المخيال الشعبي المحلي، الكشف عن كنه معنى البركة التي ليست مجرد مفهوم ديني وإنما عقيدة بكاملها. وهي تعني أن المقدس يتجلى في العالم كهبة وقوة يختص بها أناس معينون دون غيرهم. وتعكس مسألة امتلاك البركة سواء من مصدرها النسبي أو الإعجازي أو هما معا معظم دينامية التاريخ الثقافي للمجتمعات المغاربية.

كان الأولياء، وهم مالكوا البركة بامتياز، بمثابة المؤسسين الحقيقيين للوعي والنماذج المشكلة للمجتمع في المجتمعات المغاربية. بيد أن التحولات التي مست هذه المجتمعات انطلاقا

من تجربة الاستعمار، وظهور مؤسسات جديدة مع استعادة السيادة الوطنية غيرت هذه الصورة، حيث عملت المجتمعات المغاربية جاهدة على الحد من نضج هذه التناقضات التي نشأت بحكم هذه التغيرات. فقد اجتهدت الحركة السلفية لتحُول دون اصطدام الدين بالعلم ويخلص «غيرتز» إلى أن التقاليد الدينية المعدلة تبقى رهينة استمرارية نمط الحياة الذي تصوره مما يفسر حسب رأيه، في جزء كبير، العلمانية الواقعية التي تطبع الحياة اليومية للمجتمعات المغاربية.

❖ **المنهج الوظيفي:**

يهتم المنهج الوظيفي في الأنثروبولوجيا بالتعرف على مدى التشابك والتفاعل القائم بين النظم التي تؤلف حياة المجتمع ككل ونصيب كل نظام منها في المحافظة على تماسك ذلك المجتمع واستمرار وحدته وكيانه. فهذا المنهج يمكننا من معرفة كيف تعمل الشعائر والطقوس والأساطير الدينية على تماسك المجتمع واستمراره، وكيف تعطي للمشاعر والعواطف فرصة التعبير الجماعي دعما لهذا التماسك. كما يمكن لنا أيضا معرفة كيف تربط بعض النظم الثقافية (الاحتفالات، الزيارات...) بين الجماعات البشرية في مجال الدراسة في حلقة من عمليات التبادل تحاط بجو شعائري وطقوسي.

7- مجال الدراسة:

إن اختيار حقل الدراسة مرتبط أساسا بإشكالية الموضوع التي تروم إلى وصف فضاء الأضرحة والمزارات وصفا إثنوغرافيا من جهة؛ ومن جهة أخرى تهدف مقارباتها الوظيفية إلى تحليل وكشف المعاني والقيم الرمزية التي تحتويها ماضيا وحاضرا، لذلك كان لزاما اختيار منطقة تتلاءم مع مداخل هذا الموضوع ومقارباتنا الأنثروبولوجية له، بمعنى اختيار منطقة لا تزال فيها زيارة الأضرحة قائمة سواء في صورتها التقليدية، أم في صورتها الحديثة وفي نفس الوقت شهدت هذه المنطقة كما في كل المناطق المغاربية، حفاظا على هذه الممارسات الطقوسية، إلى درجة أن لا يمضي يوم من الأيام دون أن يمر زائر على ضريح عقبة بن نافع، بل وحتى في المناطق المجاورة نجد استمرارا لهذه الممارسات ولو بشكل

باهت. يكشف هذا الاستمرار عن مدى تجذر هذه الثقافة في لا وعي المجتمع الجزائري ، لكن ذلك لا يعني الثبات والسكون، بل هناك تحولات وتغيرات مست العديد من الجوانب فرضتها مختلف المؤثرات الثقافية العصرية.

لهذه الاعتبارات قمنا باختيار منطقة **"الزيبان"**، وهذا يقودنا إلى تحديد هذه المنطقة، وسيكون لنا تحديدا وافيا لها في ما يلي:

أولا: التعريف بمنطقة الزيبان:

أ- لغة: يقال زاب الشيء إذ جرى وسال، والمذكور في دائرة المعارف أن جمعها زوابي أو زيبان.

ب- اصطلاحا: جاء في الموسوعة العربية الميسرة؛ الزاب نوعان: نهر الدجلة يتصلان من الضفة اليسرى، فالزاب الأعلى أو الأكبر له شأن كبير في تاريخ الحرب بين العرب والبيزنطيين، والزاب الأسفل أو الأصغر.

ج- ويرى ليون الإفريقي أن الزاب إقليم خمسة مدن هي: بسكرة، البرج، نفطة، تلكة، الدوسن. حيث يقع هذا الإقليم في وسط مغارات نوميديا، تبتدأ غربا من تخوم المسيلة ويحدها شمالا مملكة بجاية وشرقا بلاد جريد، أما جنوبا فيحده القفار الصحراوية الرملية التي تحاذي طريق تقرت نحو ورقلة.[1]

د- ذكر اسماعيل العربي أنها تسمية مشتقة من مدينة (زابي / zabi) وهي حصن روماني في منطقة الحضنة (المسيلة حاليا).

هـ- ويرى أيضا أنه مصطلح أطلق على المناطق المليئة ببساتين النخيل وتخترقها السواقي والأودية.[2]

و- أما ابن خلدون فيرى أن الزاب مصطلح أمازيغي يعني (الواحة).[3]

[1] عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ص16.

[2] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1983، ص 142.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر2ط ج6، دار الكتب العلمية بيروت 2003، ص 501.

فالزاب هو تلك المناطق المحصورة بين الأودية والأنهار، والتي تشكل روافد، وعادة ما تكون خصبة ومليئة بالبساتين خاصة أشجار النخيل.

ثانيا: الموقع:

يرى ابن خلدون أن الزاب **إقليم "حده من لدن قصر الدوسن بالغرب إلى قصور تندومة وبادس في الشرق، يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم، وقال هو وطن كبير يشمل قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا. يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلي ثم زاب بسكرة وزاب تهوده. وزاب بسكرة أم هذه القرى كلها".**[1]

والزاب عبارة عن ثلاثة مناطق متميزة ولكنها متصلة:

- **الزاب الظهراوي**؛ وهي المنطقة التي تقع فيها طولقة وليشانة وبوشقرون وفوغالة وفرفار، وكلها تعتمد على النخيل وتنتج أجود أنواع التمور، وتروي أراضيها آبار ارتوازية.
- ومنطقة **الزاب الغربي**، ومن أهم قراها: ليوة والصحيرة والمخادمة وبنطيوس وأوماش وأورلال ومليلي، وهي أيضا تعتمد على زراعة النخيل وتسقي أراضيها آبار ارتوازية.
- أما منطقة **الزاب الشرقي** فأهم قراها سيدي عقبة؛ حيث يوجد مسجد فاتح المغرب العظيم وضريحه -**الذي هو موضوع بحثنا**- وتهودة والدروع وسيدي خليل وسيدي خالد وقرطة وسريانة وزريبة الواد وخنقة سيدي ناجي وبادس، وهذه المنطقة تروى بمياه الأنهار التي تنحدر من جبال الأوراس.[2]

ثالثا: بسكرة عاصمة الزيبان:

تقع مدينة بسكرة على خط طول 42 درجة و5 دقائق شرقي غرينيتش وخط عرض 27 درجة و39 دقيقة شمالا، وبسكرة هي أهم واحات الزيبان.[3]

[1] عبد الرحمن ابن خلدون، مرجع سابق، ص91.
[2] اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص143 (بتصرف)
[3] اسماعيل العربي، نفس المرجع، ص147.

وتتربع ولاية بسكرة على مساحة 21000 كلم^2 (واحد وعشرون ألفا) تقريبا، نجدها على يمين الخريطة في الجنوب الشرقي، وتبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي 422 كلم. ويحدها من الشمال ولاية باتنة التي تبعد عنها بحوالي 120 كلم، ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة بـ 243 كلم مرورا ببوسعادة ومن الشرق ولاية خنشلة بـ 200 كلم، ومن الغرب ولاية الجلفة بـ 277 كلم، ومن الجنوب ولايتي الوادي وورقلة.[1]

سكن المنطقة البربر والفينيقيون والإغريق والرومان واليهود والوندال والبيزنطيين والعرب والزنوج والنورمان وغيرهم، وإبان الفتح الإسلامي كانت منطقة الزيبان ثالث مركز للقيادة الإسلامية العليا. وبعد ذلك العهد عاشت المنطقة والبلاد أيام الرستميين والزيريين والحماديين والمرابطين والمرينيين والعبد واديين والزيانيين والأتراك ثم العهد الإستدماري الفرنسي.[2]

أصل التسمية مختلف عليه بين المؤرخين، فمنهم من يرى أن اسمها مشتق من كلمة (فيسيرا/ vescera) وهي كلمة رومانية الأصل تعني الموقع التجاري، ومنهم من ردها إلى كلمة رومانية أخرى هي (بيسينام/ Ad pisciname) التي تعني المنبع المعدني نسبة إلى حمام الصالحين. ويرى زهير الزاهري أن بسكرة كلمة مشتقة من "سكرة" نسبة إلى حلاوة تمرها (دقلة نور) [3]. وتوجد في الأوساط الشعبية مرويات تقول أنها كلمة مركبة من (بس وكرة) وهما قريتان قديمتان.[4]

تضم بسكرة 33 بلدية موزعة على 12 دائرة -**منها دائرة سيدي عقبة**- إدارية يقطنها 793640 نسمة بمعدل 34 نسمة لكل كلم^2 واحد، حسب إحصائيات 2011. وترتفع عن سطح البحر بـ 128 مترا.[5]

[1] طرطار نسيمة، النسق العمراني لولاية بسكرة بين القطبية الجاذبة ووظيفة المجال، رسالة ماجستير، كلية العلوم التكنولوجيا، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013، ص 122.
[2] عبد القادر بومعزة، مرجع سابق، ص22، 23.
[3] نفس المرجع، ص 27، 28.
[4] إخباريون.
[5] طرطار نسيمة، مرجع سابق، ص123.

رابعا: تهوذا – سيدي عقبة:

عرفت في التاريخ باسم **"تابوديوس Thabudeos"** الذي كان شائعا إلى غاية العهد البيزنطي، ثم أصبحت تحمل اسم **"تهوذا" -عند ابن الأثير وغيره-** أو **"تهودة"**، وهو اسم لقبيلة من البربر بناحية إفريقية لهم أرض تعرف بهم.

وتقع مدينة **"تهوذا"** في الجنوب الشرقي لمدينة بسكرة، وتبعد عنها بحوالي 17 كلم، وعن مدينة سيدي عقبة بحوالي 5 كلم في جنوب الأطلس الصحراوي **-جنوب جبال الأوراس-** والتي تحتضنها مناطق سهلية لا يتجاوز ارتفاعها عن سطح البحر 80 مترا.

تهوذا مدينة أمازيغية احتلها الرومان وهي جزء من خط الليمس الشهير، حيث تضم الحصن البيزنطي الذي لا يزال مردوما تحت التراب إلى يومنا هذا. وقد كانت حاضرة المنطقة منذ الفتح الإسلامي لعدة قرون، إلا أنها كانت مسرحا للعديد من الحروب، خربت ولم يبقى منها إلا أطلال وآثار مردومة. حيث انتقل السكان منها تدريجيا، فسكنوا حول المسجد والضريح؛ فتكونت **مدينة سيدي عقبة** الحالية، وتحولت **تهوذا** إلى قرية صغيرة، هجرت بعد طوفان 1969، ولكنها بدأت تسترجع بعض مكانتها بعد بناء مسجد جديد ومدرسة ومستوصف.

8- الدراسات المشابهة:

كتاب: مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس -مقاربة لظاهرة الأولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة آليات اشتغال الكتابة-

هو أطروحة دكتوراه من إعداد الباحث في حضارة المغرب وثقافته عبد الإله لغزاوي.

تقدم هذه الأطروحة، وعلى نحو مونوغرافي دراسة مستفيضة لظاهرة المقدس بمكناس انطلاقا من تحليل دقيق للحضور المشهود لأولياء هذه المدينة العريقة... وتسعى من وراء ذلك كله إلى إبراز الأهمية التي تكتسيها العاصمة الإسماعيلية في المجال الصوفي سلوكا وتربية وإبداعا، وإنتاج معرفة خصبة تستجلي هوية الأولياء الذاتية وكراماتهم الصوفية، ووظائفهم المختلفة، مع صياغة خطاب تحليلي يستكنه **"المقدس**

الولوي" في تجلياته الطقوسية والعمرانية والإبداعية... فينكب على مقاربة الزيارة والمعتقدات والقباب والزخرفة والإنارة والأثاث والتحف والخط والموسيقى والإنشاد والرقص والتصوير والتشكيل والسينما والتمثيل والفرجة والشعر والرواية والمسرح.

وتقارب الأطروحة من زاوية أخرى الرصيد الثقافي لأولياء مكناس كما أبدعوه في مجال الشعر والنثر والعلوم الدينية والتاريخية والصوفية واللغوية والرؤيا والإستدلال. ولذلك حققت الأطروحة نتائج مهمة جعلت منها متفردة في بابها، متنوعة في عروضها، متشعبة في مباحثها، موسوعية في دراستها وجذابة في صياغتها، فأضحت مصدرا أساسيا لأي باحث في التراث الصوفي المغاربي.

9- صعوبات الدراسة:

- صعوبة الخوض في قضايا المعتقدات الشعبية بسبب عدم تقبل المجتمع الاستجواب بخصوصها.
- ضيق الوقت الممكن للدراسة التي تحتاج لوقت أكبر من أجل الذوبان أكثر في المجتمع.
- قلة الخبرة الميدانية المطلوبة للبحث في هذا الميدان.
- عدم القدرة على مواكبة حاجة الموضوع للتفرغ التام واليومي.

الفصل الثاني: المفهومات الأساسية في البحث:

المبحث الأول: الثقافة، الدين، التصوف، السياحة الدينية

المبحث الثاني: الزهد، المريد، الطريقة، الكرامة

المبحث الثالث: الولي، الاحتفال، الزيارة، الضريح

المبحث الأول: الثقافة، الدين، التصوف، السياحة الدينية:

1- الثقافة:

أ - لغة: تعني كلمة "ثقّف" في اللغة العربية "قوّم" الشيء، أي عدّله عندما كان معوجا وغير سوي، فقال العرب: "ثقّفت الرمح" أي "قوّمته". فالمصطلح يحمل معنى الإصلاح والتصحيح.

ب - اصطلاحا: أما في الاصطلاح فالثقافة هي ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة، أي تلك الأمور التي تنطلق من ذاتية وشخصية الإنسان بما هو عليه من صفات كالخير والعدل وتلك الطاقة العملية الكامنة التي تستخدم في مجالات الحياة والتي تميز كل مجتمع عن غيره.[1]

ج عرفها علماء الإجتماع بأنها: كل جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة. ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل. وتمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مضمرة غير عيانية مثل: المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة.[2]

د -عرّفها ادوارد تايلور بـ: "هي الكل المركب المكون من المعتقدات والتقاليد والمعرفة والفن والأشياء المعنوية والقانون والعادات التي اكتسبها الإنسان بصفته عضوا من أعضاء المجتمع". أي كل فكرة أو سلوك مكتسب من المحيط تجعل الإنسان فعالا ومكملا لذلك المحيط.

ه -عرفها ق.يروشيه بـ: "طرق التفكير والإحساس والتصرف التي تكون مُشَكْلَنَة نوعا ما، تتعلمها وتتقاسمها مجموعة من الأشخاص، وتساهم بطريقة موضوعية ورمزية في تحويل هؤلاء الأشخاص إلى جماعة خاصة ومميزة".[3]

---

[1] زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف- ع**4**، **2010**، ص **94**.

[2] أنتوني غدنز، علم الإجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط**1**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، **2005**، ص **82**.

[3] جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الإجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف بسام بركة، ط**1**، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، **2011** ص **66**، **67**.

و -التعريف الإجرائي: الثقافة هي ذلك التراث الفكري الذي يميز جماعة من الناس عن غيرهم مكونين نموذج محدد من طريقة التفكير والسلوك، وهي تمتاز بالثبات من حيث التوجه العام كالثقافة الخاصة بالتربية الإسلامية، والنسبية من حيث تكيفها مع المجتمع المستهدف كاختلاف اللغة التي لا تمنع من تقديم محتوى واحد.

2- الدين:

يعتبر مفهوم الدين من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية، ذلك أنه من أكثر المصطلحات وجودا في حياة الشعوب ومرونة في ضبط مفهومه، فهو يخضع لثقافة كل شعب وحضارته، بل ويختلف حتى بين جماعات الشعب الواحد، وتحدده فلسفة الناس في ما يتعلق بما فوق الطبيعي والمقدس[1]، وعليه سنتطرق لما جاء حول هذا المصطلح بنوع من الشمولية:

أ - لغة: عند الرجوع إلى المعنى اللغوي لكلمة الدين نجد أنها تدل على ثلاثة معاني تكاد تكون متلازمة، وهي:

- تؤخذ من فعل متعد بنفسه "دانه يدينه" أو "دانه دينا" وتعني بذلك مَلَكَهُ وحَكَمَهُ وساسه ودبّره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه.
- وتأتي من فعل متعد باللام "دان له" ومعناه أطاعه وخضع له، أي أن الدين وفق هذا الاستعمال يعني الخضوع والطاعة والعبادة والورع.
- وتأتي من فعل متعد بالباء "دان به" أي اعتقده واعتاده، وهو بهذا الاستعمال يعني العقيدة والمذهب.

فكلمة دين في اللغة يراد بها: الملك والقهر والطاعة والعبادة والعادة والملة والسلطان والمذهب والجزاء... وهي كما يشير دراز تدور حول معنى لزوم الانقياد، ففي الاستعمال الأول هي إلزام

[1] ميرسيا الياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ط**1**، دار دمشق، **1987**، ص **9**، **10** و**11**.

الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هي التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث هي المبدأ الذي يلتزم الانقياد له.[1]

ب - اصطلاحا: يعرفه أبي العلاء المودودي بأنه: "النظام الشامل للحياة، يذعن فيه المرء لسلطة عليا، ثم يقبل طاعتها واتباعها وتقيده في حياته بحدودها وقواعدها وقوانينها ويرجو في طاعته العزة والترقي في الدرجات وحسن الجزاء، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العاقبة".[2]

ج - ادوارد تايلور: "إن المتطلب الأول في الدراسة المنهجية لأديان الشعوب البدائية هو وضع تعريف بدائي للدين، ذلك أن التوكيد على الإيمان بكائن أعلى من شأنه أن يخرج المعتقدات البدائية من دائرة الدين، لأن مثل هذا الإيمان هو مرحلة متطورة من الحياة الدينية.
من هنا، فإن الأفضل أن نضع حدا أدنى لتعريف يقتصر على الإيمان بكائنات روحية".

د - هربرت سبنسر: "الإعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم".

ه - م. رافيل: "إن الدين هو اشتراط الحياة الإنسانية بإحساس بالاتصال بين العقل الإنساني وعقل خفي يتحكم بالكون، وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة".

و - تعريف الفيلسوف الألماني ماكس مولر: "إن الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي".[3]

ز - منظومة من المعتقدات يعتنقها أعضاء المجتمع، وتنطوي على رموز ينظر إليها بنوع من الهيبة والإجلال، بالإضافة إلى الطقوس التي يمارسها أعضاء المجتمع. [4] ويعد كل شكل من أشكال التقديس والاحترام سواء للأشخاص أو الظواهر الطبيعية أو القوى الخفية أو القوى العليا الغيبية شكلا من أشكال التدين.

ح -التعريف الإجرائي: الدين هو الإسلام، وهو كل المعتقدات والمبادئ التي تقرها شرائع الإسلام في توجيه الفكر والجسد نحو سلوكات محددة في أوقات محددة وترك سلوكات أخرى رغبة ورهبة تجاه الله سبحانه وتعالى طلبا للجزاء الحسن.

[1] دراز محمد، الدين، ط**1**، دار القلم، الكويت، **1982**، ص **25**، **26**.
[2] أبو العلاء المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، **6**، دار القلم، الكويت، **1982**، ص **24**.
[3] فراس السواح، دين الإنسان، ط**4**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، **2002**، ص **23**، **24**.
[4] أنتوني غدنز، مرجع سابق، ص**751**.

3- التصوف:

أ - لغة: إن اختلاف العلماء في تعريف التصوف أدى بهم كذلك إلى الإختلاف في الإشتقاق اللغوي، وقد قال ابن خلدون بأنه ليس لهذا المصطلح اشتقاق في اللغة العربية فنجد مايلي:

- نسبة إلى رجل زاهد متعبد في الجاهلية كان يلقب بصوفة، واسمه الغوث بن بركان.
- قيل من الصفة وهي مكان بمسجد رسول الله ﷺ.
- قيل أنها مأخوذة من صاف السهم عن الهدف أي مال، فهم يميلون عن الرذائل.
- مأخوذة من الصفاء.
- مأخوذة من لبس الصوف.
- وقيل أنها مأخوذة من كلمة يونانية وهي "سوف" وتعني الحكمة.[1]

ب - اصطلاحا: ومنه فإن الإصطلاح لا يعرف إلا بصفات المتصوفة:

- يقول الخطيب البغدادي في بيان أصناف أهل السنة والجماعة: "والصنف السادس منهم الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير وعن الشر محاسب ... ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الإعتراض عليه".
- أما الشهرستاني فقد ألحقهم بأصحاب الروحانية في قوله: "ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا وفاطرا، حكيما مقدسا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة.."[2]

[1] عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات. غرداية، ع15 **2011**، ص **461**.

[2] بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الإجتماعية، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، السنة الجامعية:**2008**/**2009**، ص **17**.

- هو امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى.[1]

ج- التعريف الإجرائي: التصوف هو تزكية النفس وتصفية القلب من كل مغريات الحياة والإنكباب على عبادة الله، والإعتكاف في التقرب إليه والسعي للسمو الروحي، والزهد عن مقتضيات النفس البشرية.

4- السياحة الدينية:

أ. لغة: يرجع مفهوم "السياحة" إلى كلمة "رحلة Tour" المشتقة من الكلمة اللاتينية "Torno"، وقد استُخدم المفهوم أول مرة سنة 1643 ليدل على السفر أو التجوال من مكان إلى آخر، والسياحة يقصد بها في اللغة "التجول"، يقال: جال في البلاد للتنزه.

ب. اصطلاحا: ذلك النشاط الإنساني الذي يتعلق بالحركة والتنقل، يقوم به الفرد أو مجموعة من الأفراد بغرض الانتقال من مكان إلى مكان آخر لأسباب اجتماعية ترفيهية، قضاء إجازات أو حضور مؤتمرات ومهرجانات، العلاج، فالمهم أنه ليس بغرض العمل أو الاستقرار طويلا.

ج. فالتنقل أو السفر يعتبر سياحة إذا كان تنقلا طوعيا غير إجباري ومؤقتا غير دائم، ولا يهدف إلى نشاط ربحي أو بحث عن عمل.

د. السياحة الدينية: هي نوع من أنواع السياحة، ويقصد بها انتقال السياح من أماكن إقامتهم إلى المعالم الدينية، وذلك بهدف القيام بزيارات ورحلات دينية، لإشباع العاطفة الدينية والتبرك بهذه المعالم وطلب الاستشفاء الروحي والنفسي. وقد تكون للتعرف على التراث الدينية لبلد ما.[2]

[1] أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، **2000**، ص **50**.

[2] صالح بن قربة، فتيحة شلوق، العمارة الدينية الأثرية بمنطقة الزاب ومتطلبات توظيفها في التنمية السياحية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر –بسكرة، العدد/35، 2014، ص 441.

المبحث الثاني: الزهد، الطريقة، المريد، الكرامة:

1- الزهد:

هو الترك والإعراض عن المزهود فيه، وبدايته الترك والإعراض وتمكنه الاستئناس بتركه . ونهايته دوام نسيانه حتى لا يخطر بالبال، ونهايته العظمى احتقار الزهد والمزهود فيه، فلا يرى الزاهد شيئا ولا يلتفت إليه. وما دامت الأشياء قائمة في النفس فالزهد فيها مطلوب، حتى إذا تركت الأشياء من النفس وصفت من جميع الكدورات، وذهبت صور الأكوان من القلب عينا وأثرا فلا زهد.[1]

2- الطريقة:

أ - لغة: الطريقة في اللغة هي السيرة، وطريقة الرجل مذهبه، يقال: مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال.[2]

ب - اصطلاحا: وردت بعدة معاني متقاربة؛ منها:

- هي الحلقة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الإلهية.
- كما أطلقت على ما يسمى بالوِرد الذي هو المنبع، وهو أيضا الدخول في الطريقة إذ يقال ورد أو دخل في الطريقة على حد سواء.
- اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا أو ميتا بواسطة ورد الأذكار يقوم به المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره.[3]
- الطريقة تعني المسلك أو السبيل، يقول ابن خلدون: "وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم"[4]

-التعريف الإجرائي: الطريقة هي السبيل الذي يتبعه المريد أو السالك في عبادة الله ليصل إلى مقام الأصفياء، على طريقة شيخ الطريقة.

---

[1] معجم المصطلحات الصوفية، ص**74**.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادق للطباعة والنشر ، بيروت**1968**، المجلد التاسع، ص**221**.

[3] عبد العالي بوعلام، مرجع سابق، ص**462**.

[4] بن لباد الغالي، مرجع سابق، ص**27**.

3- المريد:

هو مريد الحق والنجاة عبر سلوك الطريقة، والمريد جمعها المُريدون وهو المتعلم على شيخ طريقة والمُريد رتبة من رتب الصوفية، وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أورادا في اليوم والليلة يكلفها شيخه ليسير على طريقته في التصوف، وذلك ضمن تربيته للمريد. وتختلف الطرق التي اتبعها شيوخ الطرق المختلفة في تربية مريديهم، فقد يسلك بعضهم طريق الشدة في تربية المريدين فيأخذوهم بالرياضات العنيفة ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين، فيأمرونهم بممارسة شي من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا. ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين، ولذلك قيل الطرق إلى الله على عدد أنفاس الخلائق.

4- الكرامة:

أ. **لغة:** مشتق من التكريم والإكرام، بمعنى الفضل والتفضل.

ب. **اصطلاحا:** هي أمر خارق للعادة يظهر على يد الولي من غير دعواه يعقبه وقوع العلم بالتصديق ضرورة، والكرامات لاحقة بمعجزات الأنبياء، فكرامات كل أمة لاحقة بمعجزات أنبياءها فكرامات هذه الأمة لاحقة بمعجزات نبينا محمد ﷺ.

ج. قال **سيدي أبو مدين شعيب** يوما لأصحابه: "**كل معجزة كانت للأنبياء ظهرت كرامات للأولياء في هذه الأمة تشريفا وتعظيما وتكريما لنبينا** ﷺ"، فقيل له: يا سيدي وهل وقعت لبعض الأولياء كرامة بانقلاب العصا حية؟ قال: "**نعم وذلك في حديث طويل**".

د. وقال الإمام **العز ابن عبد السلام** : "**ما من عارف من أمة محمد** ﷺ **ولا ذي حال كريم أو مقام عظيم، من كل ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى؛ إلا وله عليه السلام مثل أجر ذلك العمل، مضافا إلى أجور معارفه وأعماله، وما من درجة علية ولا رتبة سمية نالها أحد من أمته باتباعه وإرشاده؛ إلا وله مثلها مضافا إلى درجاته،...**"

ه. يقول **أبو يزيد البسطامي: "مثل ما حصل لنبينا ﷺ كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، ومثل ما في الظرف مثل ما لنبينا ﷺ".**

و. وذهب كثيرون إلى أن الكرامة لا تقع اختيارا، ولو قصد الولي وقوعها اختيارا لم تقع.

ز. وقال الإمام **الجويني: "هذا القول غير مرضٍ بل المختار عندنا ألا يمتنع وقوع الكرامة على وفق مراد الولي وقصده واختياره كما لا يمتنع وقوعها على غير اختياره، ودليل ذلك فعل عمر رضي الله عنه حين صرخ وهو على المنبر بسارية وجيشه، وهم بأكناف نهاوند وكان قصده واختياره أن يسمعوا كلامه فوقع ذلك كما أراد واختار".**[1]

ح. **التعريف الإجرائي:** لقد كثر الحديث عن التسليم بوجودها إلا أنه مهما كان الاختلاف في وقوعها أو عدم وقوعها، فلا بد من التسليم بأنها ظاهرة ثقافية نلمسها عندنا في الممارسات اليومية لدى الناس. ولا حجة لمن يرفضها جملة وتفصيلا باسم العقل، لأن الظاهرة التي لا توزن بميزانها ولا تقدر بمقاييسها تكون عرضة لأسوء الأحكام، إن ظهور الكرامات على أيد الأولياء جائز شرعا وعقلا. وأما الفرق بين المعجزة والكرامة فهو الفرق بين النبي والولي؛ فالنبي يصعد إلى السماء ويكلم الموتى والملائكة... أما ما للولي فأدنى من ذلك.

المبحث الثالث: الولي، الاحتفال، الزيارة، الضريح:

1- الولي:

أ. **لغة:** لفظ ولي جاء من الفعل العربي "**وَلِيَ**" بمعنى "**قَرُبَ**"، وولي بمعنى "**حَكُمَ**" و أيضا حماية شخص ما. والولي هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالَم والخلائق القائم بها، ومن أسماء الله: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها.

ولي الشيء وولي عليه وِلاية ووَلاية، والولي: ولي اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته. وولي المرأة: الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبد بعقد النكاح دونه.[2]

[1] مهتاري المولودة زرقة فائزة، أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، أطروحة دكتورا في الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص 5.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المجلد السادس، ص**4920**، **4921**.

فالمصطلح بمفهومه القرآني لا يعني ما يقصده المسلمون بكلمة ولي عندما يطلقونها على شخص ما، فقد ورد اللفظ في القرآن بمعنى القريب: **(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62))**[1]، وكلمة "والي" في الاستعمال العام تعني "الحامي" "الرفيق" "الصديق" "المحسن" وفي المجال الديني تعني "الشخص التقي" أو "الصالح" بمعنى أقرب ما يكون إلى "القديس" saint كما يستخدمه الأوروبيون.

والوَلاية -بفتح الواو وكسرها- لغة تدل على القرب ثم على ما يتصل به من معاني مختلفة كالمحبة والنصر والمؤازرة والسلطان وتدبير الأمر والمتابعة، وقد استعملت في الإسلام ووردت في القرآن والسنة؛ حيث اصطبغت بصبغة خاصة واتجهت اتجاهات مناسبة لما وردت من أجله، وأصبحت تستعمل بعد ذلك في فروع شرعية مختلفة، منها الناحية الفقهية كولاية اليتيم وولاية العتق وولاية النكاح، ومنها الناحية السياسية كولاية الإمامة، وليست هذه النواحي موضع بحثنا في هذا المقام.[2]

ب. **اصطلاحا:** يرى الجرجاني في كتابه **"التعريفات"** أن الولي هو العارف بالله أي الذي يملك حسا صوفيا ووجدا دينيا لدرجة أنه يعرف الله سبحانه بهذا الحس وذلك الوجد، وأن الولي الحقيقي الجدير بهذه الكلمة يُعتقد أنه يمتلك ميزات عدة، فهو ليس عبدا عاديا لله، فمع أنه قد يكون أعمى وواهنا، إلا أنه يكون قادرا على الإتيان بالكرامات وصنع المعجزات. وحسبما يعتقد البعض فإنه بمقدور الولي أن يقرأ الأفكار ويتنبأ بما سيكون... الأولياء يحكمون الكون وببركتهم ينزل الغيث وينمو النبات ويتحقق النصر في المعارك.[3]

ج. في الاصطلاح الشعبي الولي هو الرجل المتصوف أو الشريف المنتسب إلى آل البيت عليهم السلام أو الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

د. **آرنست غلنير:** الولي هو الذي يعيش بشكل تام، ويسمح للطبيعة أن تتكلم عبره، حتى في شكل غرائز غير ملجومة، والناس تبحث عن طريقة من التصالح مع السماء. [4] فوفقا لهذا المعنى فإن

---

[1] سورة يونس: آية **62**.

[2] عبد الفتاح عبد الله بركة، الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، **2**، مجمع البحوث الإسلامية، بدون سنة نشر، ص **388**.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج**32**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ص**10168**.

[4] آرنست غلنير، المغرب مرآة للإنسان، ترجمة أبو بكر باقادر، مجلة الإجتهاد، ع**47-48**، دار الإجتهاد، بيروت، لبنان، **2000**، ص **193**.

الأولياء كانوا يساعدون الناس على فهم خصائص معينة لأسلوب الحياة، وشهرتهم غير مرتبطة بفكرة الجدارة والأهلية الشخصية ولا بأي تقييم أخلاقي... ولا يعرضون من ذلك سوى القليل.

ه. **حسن الشرقاوي:** فهم النفر الذي تعرّف على المثالب والعيوب وسلكوا طريق الحق والمعرفة واستناروا بنور الاستقامة والطهارة فاستظلوا بكؤوس العزة والنعم، وظلوا مجاهدين في الله فذاقوا؛ فلما ذاقوا سكروا، ولما سكروا شاهدوا، فلما شاهدوا ارتوا، ولما ارتوا عملوا، فلما عملوا ارتقوا، ولما ارتقوا وصلوا، فلما وصلوا فنوا ثم بقوا في الله، ولله وبالله ومع الله، لقد أفاض الله عليهم من منته ورحمته ونعمته ورضوانه، فرضي الله عنهم ورضوا عنه، هؤلاء هم أحباؤه وأولياؤه، هؤلاء هم أصحاب الحق العارفون بالله، رجال الليل الصادقون، الساجدون بالعشي والأسحار، والذين يتفكرون في الله، قياما وقعودا؛ في يقظتهم ومنامهم، قوم استضاءت نفوسهم فأصبح علمهم عملا وظاهرهم باطنهم قوم صدق، تعارفوا فتحابوا في الله، وتعاونوا فعملوا بما علموا، فأعطاهم الله علم ما لم يعلموا، فتواصوا بالخير والمرحمة، وتدافعوا إلى الإيثار والإحسان مجالسهم مجالس أنس وبهجة، وعلمهم من الله، وقلوبهم نورانية مشرقة بضياء الله، لا يحدهم مكان ولا زمان، سيماهم على وجوههم أصحاب الكمال والجلال، لا يخافون غير الله، فهم قدوة للعالمين، وباب إنصاف للمظلومين والمحرومين، ومنار صدق للمريدين والسالكين.[1]

و. للأولياء رئيس يسمى **"القطب"** أو **"الغوث"**، يساعده الأوتاد والأبدال والنجباء، والرجبان والرقباء والنقباء والرفقاء وأهل الغيب وأهل النجدة وغيرهم من الأولياء[2]. وقد يصنف الأولياء في ترتيب تصاعدي (طبقي): الأخيار، الأبدال، الأبرار، الأوفاء، النقباء، القطب أو الغوث.[3]

ز. **القشيري:** إن الولي له معنيان؛ أحدهما فعلي بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره والثاني فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا.[4]

---

[1] حسن الشرقاوي، الحكمة الباطنية، ط**1**، بدون دار نشر، **1975**، ص **4**-**5**.

[2] نفس المرجع، ص **7**.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص**10169**.

[4] أبي القاسم القشيري، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة**1989**، ص **128**.

ح. ومن ثم فإن الولاية أثر لمجموع أمرين: رعاية إلهية تحيط بالعبد فلا تكله إلى نفسه لحظة، ويترتب على هذه الرعاية أن لا يقصر في حق من حقوق الله. ورعاية من العبد لواجباته، وأداء الطاعات المطلوبة منه. ولا يمكن أن يصل إلى مرتبة الولاية إذا أهمل أو قصر في هذه الرعاية.

وبمجرد تولي الله للعبد بالرعاية تتحقق الولاية، فأداء الطاعات والعبادات نفسه ليس إلا أثرا من آثار التوفيق الإلهي. وتكون الولاية على هذا المعنى منوطة أولا وأخيرا بتحقيق هذه الرعاية أو مرافقا لها. وبصورة أخرى تكون هذه الرعاية الإلهية هي المحور الأساسي الذي يدور عليه أمر الولاية، فإذا وجدت الطاعة ثم صادفت هذه الرعاية فقد تحققت الولاية على قدرها، وإذا وجدت الرعاية فتوجه العبد بسببها إلى الطاعة، فقد تحققت الولاية على قدرها.[1]

2- الاحتفال:

أ. **لغة:** يعرف "**الاحتفال**" حسب منجد اللغة العربية المعاصرة على أنه اجتماع على فرح ومسرة وحفلة جمع حفلات: اجتماع لغرض من الأغراض، واحتفل، اجتمع واحتشد -**احتفلوا في ساحة القرية**- ونقول احتفالي، أي متسم بطابع الاحتفال، أي ممارسات ومراسيم احتفالية.[2]

ب. ويقال حفل الجمع حفلا كثر، وحفل القوم حفلا اجتمعوا، واحتشدوا واحتفلوا. وتحفل تحفلا تزين وتحلى، يقال للمرأة: تحفلي لزوجك أي تزيني، وتحفل المجلس كثر أهله. والاحتفال الوضوح والمبالغة، واحتفل الطريق بان وظهر.[3]

ج. يذهب الدكتور «**عبد الرحمان موساوي**» في تحليله لماهية الاحتفال من وجهة نظر أنثروبولوجية أن الاحتفال لحظة مميزة متوقعة في الذاكرة، فهو ماكنة لصنع الذاكرة، ذاكرة تعالج جروح الماضي، وتبني مستقبلا موعود، ومن هذا العنوان فإن الاحتفال عموما يقدم من وجهتين: الأولى مقدس والأخرى مدنس، غير أن قوتهما مستمدة من مصدر واحد وقوة واحدة ومقدس واحد.[4]

---

[1] عبد الفتاح عبد الله بركة، مرجع سابق، ص**66**.

[2] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط**1**، دار المشرق، بيروت، **2000**، ص **305**.

[3] مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد**14**، مطبعة حكومة الكويت، **1974**، ص **155**.

[4] **A .Moussaoui, Espace et sacrée au Sahra, CNRS édition, Paris, 2002.P33.**

د. **التعريف الإجرائي:** الاحتفال هو الالتقاء الأفقي الذي يسمح بتوحد المحتفلين مع بعضهم ويجعلهم وحدة واحدة منصهرة حسب قوانين هذا الاحتفال، المتمثلة في الطقوس والشعائر المقامة في الأضرحة. الاحتفال حسب ما اعتمدنا في هذه الدراسة عملية لقاء جماعي وجح إلى مكان واحد نابع من معاناة الزوار وطلبهم للأمن والطمئنينة. من هذا المنطلق يمكن لنا أن نعطي تعريفا إجرائيا اعتمادا على ما تقدم لتحديد خط سير هذه الدراسة مفاده: إن الاحتفال هو عملية تحديث للذاكرة إن جاز لنا التعبير بلغة الواقع ومفردات الحياة اليومية، إذ هو عملية إعادة لتشكيل الجماعة الواحدة ضمن قواعد وأسس تفرضها الطقوس والشعائر المتوارثة والمتجددة ضمن نطاق أسطورة شعبية أو خرافة أو كرامة ولي.

3- الزيارة:

قررنا إجرائيا أن كل ما تضمنه الاحتفال من طقوس وشعائر وأفعال وممارسات... وكل ما قررته اللغة في معنى الزيارة؛ من ميل وتوجه وقصد وعيادة ومجيء ولقاء... هو المفهوم الذي نقصده من لفظنا "**الزِّيارة**". ولكن الفرق أن المعنى الأول يلفظ في الأوساط الشعبية بسكون حرف الزين "**الزْيارة**".

4- الضريح:

هو شق في وسط القبر، وقيل القبر كله وقيل هو قبر بلا لحد، وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا، أو لأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه.

وتدل معظم الأحاديث النبوية على استحباب اللحد وأنه أولى من الضريح، وإلى ذلك ذهب الأكثر كما قال النووي، وحكى في شرح مسلم إجماع العلماء على جواز اللحد والشق، ووجهه ذلك أن النبي ﷺ قرر من كان يضرح ولم يمنعه. ومن المعروف أنه لحد النبي ﷺ، كما أمر سعد ابن أبي وقاص أن يلحد له لحدا وينصب عليه اللبن كما صنع بالرسول ﷺ.

كما أطلقت الوثائق على المدفن الذي يعلوه قبة اسم القبة، أو القبة المدفن، وقد شاع مصطلح المقبرة والتربة رمزا للضريح، أما القبر فهو آخر مثوى للإنسان البسيط والعادي.

والضريح معلم توفرت فيه سمات العظمة والهيبة، وبقيت تتقاذفه موجات القبول والرفض، بسبب النزعات الدينية والمذهبية، ولا يكاد يخلو بناء أي ضريح من قبة، والقبة اختلفت حولها الآراء، فمنهم من قال أنها ترمز إلى صورة متطورة للخيمة التي يستخدمها البدو العرب، ومنهم من قال أنها ترمز إلى الباري عز وجل؛ بقولهم: **"أبو الخيمة الزرقاء"** أي مالك السموات والأرض.

ويرجع آخرون وجودها إلى كون القبة التي تبنى فوق الضريح ترمز إلى السماء. وقد أصبحت أضرحة الورعين والمتعبدين معابد خاصة يقصدها الأوفياء، النساء خاصة في إفريقيا الشمالية لم تكن لهن عقيدة سوى إجلال هؤلاء الصالحين، ولا معبدا آخر سوى زيارة هذه الأضرحة وإنجاز طقوس وتضحيات وقرابين كإشعال الشموع، وكل هذا يكون الزيارة.

كثيرا ما نجد أضرحة الأولياء مجاورة للمساجد، وبناء على ما سبق يتبين لنا أن الأضرحة لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما في التركيبة النفسية والإجتماعية لمجتمعنا، فالضريح ليس فقط بمعلمه بل بما يمثله من رمز مقدس.[1]

[1] مهتاري المولودة زرقة فائزة،مرجع سابق، ص 34.

الفصل الثالث: مدخل إلى تاريخ زيارة الأضرحة

المبحث الأول: الموروث الثقافي والمعتقدات الشعبية

المبحث الثاني: زيارة الأضرحة بقايا وثنية وواقع ملموس

المبحث الثالث: من التصوف إلى تقديس الأولياء

المبحث الأول: الموروث الثقافي والمعتقدات الشعبية:

بما أن زيارة الأضرحة تندرج ضمن ما يعرف بالموروث الثقافي على اعتبار أنه أحد مظاهر المعتقدات الشعبية ارتأينا التعريج أولا على الحديث عن الموروث الثقافي والمعتقدات الشعبية قبل الخوض في تاريخ زيارة الأضرحة...

المطلب الأول: ماذا نقصد بالموروث الثقافي؟

يعد الموروث الثقافي مصطلحا واسعا ومن الصعب تحديد جميع مكوناته وعناصره، وهو يشمل كل ما خلده الإنسان من شواهد روحية أو مادية في تراثه الفكري ورقيه الإنساني، ويمكن القول بأنه الحصيلة الفكرية والاجتماعية والمادية لأسلافنا، أو بمفهوم آخر فإن: **"الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، والمكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من البعيد والقريب"** موجود في ذاكرتنا يعيش معنا، ويتجسد في أشكال مختلفة خلال حياتنا **"في تصرفاتنا وتعابيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معه وإعلان موته نظريا أو شعوريا تظل خطاطته وأنساقه وأنماطه العليا مرسخة في الوجدان ومتمركزة في المخيلة"**، حتى وإن طرأ عليه تغيير إلا أن هذا التغيير ليس جذريا، إنما هو نسبي نتيجة ظروف مفروضة من جهة، ومن جهة أخرى فإن بعض الموروثات حتى وإن هجرت فإنها ستحفظ في المتاحف كونها من تراث أجدادنا، وأنها أدت وظيفة في زمن ما.[1]

ولا نعني بالموروث الثقافي تلك الرواسب والمخلفات الثقافية لماض سحيق، حيث فقدت وظيفتها من دون أن تكتسب وظيفة أخرى، لأن هذه النظرة الساذجة للموروث الثقافي تعمل على بتر التاريخ وتسلب حقه في التعبير عن الحاضر والتأثير فيه، وتجعله شيئا من مخلفات الماضي السحيق، وإنما آثارها تسكن دائما وجدان أفراد المجتمع، فيكون لعناصر الموروث الثقافي -عند علماء الأنثروبولوجيا- دائما وظيفة تؤديها **"بطريقة أو بأخرى، حتى لو اختلفت عن الوظيفة الأصلية، واعتبروا أن المخلفات والرواسب عناصر ثقافية موروثة من أوضاع أقدم ثقافيا، وأن لها تأثيرها في أرقى الحضارات، كما اعتبروا**

[1] إيمان هنشيري، الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث جامعة مستغانم، ع 17، 2017، ص 98.

أن العادات والمعتقدات مخلفات لماض قديم، وقد اكتسبت وجودها لا عن طريق المعرفة التجريبية المؤيدة ولا بالحقائق المؤيدة ولا بالقانون الوضعي وإنما بحكم العادة وعلى أساس أنها جزء من التراث".[1]

المطلب الثاني: مقدمة عامة في المعتقدات الشعبية:

يُقصد بـ"**المعتقدات الشعبية**" ما يؤمن به الفرد في ما يتعلق بالعالم فوق طبيعي، وهذه المعتقدات تُبعث في نفوس الأفراد عن طريق الكشف والرؤيا، ثم تحولت على مدى الأجيال إلى أشكال أخرى بفعل تراكم التقاليد الجماعية، وهي كامنة في أعماق النفس الإنسانية، موجودة في كل مكان، سواء عند الريفيين أو الحضر، عند المثقفين أو غير المثقفين، عند المتعلمين وأصحاب الدرجات العلمية العليا وعند أصحاب الدرجات العلمية المتواضعة...

تدل صفة "**الشعبية**" على كل ما تعلق بالناس، ونقصد بـ "**المعتقدات الشعبية**" كما سبق الذكر، ما يؤمن به الشعب في ما يتعلق بالعالم فوق طبيعي، وليس من الأمور ذات الأهمية الرئيسية -مع أننا نوليها عنايتنا عند الدراسة والتحليل- ما إذا كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية -إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك- ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح، أي أنها لا تحظى بالإقرار والقبول من طرف رجال الدين الرسميين.

وقد كان الشائع أن يطلق عليها في الماضي اسما ينطوي على حكم قيمي واضح إذ كانت تسمى "خرافات أو خزعبلات". ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسميين سواء في الخارج أو عندنا، لأن المعتقدات -التي تدور حول هذه الموضوعات الغيبية- ولا تتفق مع تعاليم الدين الرسمي، لا تستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اسم "**معتقدات**".[2]

[1] إيمان هنشيري، مرجع سابق، ص 99.

[2] محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1، 1978، ص 42.

وتتميز المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص التي تميزها عن سائر الأنواع الشعبية الأخرى، فاللغة الشعبية تُنطق وتُكتب، وتتطلب وجود شريك ليتم معه حديث ومجتمع يتفق على رموز هذه اللغة. كذلك الزي الشعبي، أو المحلى وأدوات الزينة كلها تستمد قيمتها من إظهارها للناس وإعلانها والعادات الشعبية لا بد أن تمارس؛ فتظهر بالضرورة على الملأ...

أما المعتقدات الشعبية فهي -على خلاف كل هذه العناصر الشعبية- أصعبها كلها في التناول وأشقها في الدراسة والبحث، لأنها خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر وتتشكل بصعوبة -مبالغ فيها أو مخففة- يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا.

وهي مع تمسكنها في أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضر ، عند غير المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة.[1]

المبحث الثاني: زيارة الأضرحة بقايا وثنية وواقع ملموس:

المطلب الأول: زيارة الأضرحة بقايا وثنية:

إن انتشار الأضرحة بكثرة في شمال إفريقيا ما هو إلا امتداد للهالة التي يضفيها المغاربة ككل على الأولياء الصالحين، وهنا يكمن السر في استقطاب المنطقة لعدد كبير من المزارات المقدسة والقباب.

يرى «**عبد الإله لغزاوي**» أن أبرز مظاهر الزيارة بشكل عام هي طقوسها؛ فإن السلوك الطقوسي يشكل أساس الاشتغال القدسي، فالطقسي ينزل القدسي من عالمه الميتافيزيقي إلى وجوده العياني وبالطقس يتقرب الإنسان إلى المقدس وينغمس فيه، وإذا كانت زيارة الأولياء مقترنة بمجموعة من الأعمال الطقوسية الدالة التي تحتاج إلى تفسير، فإنه يمكن القول أن التيار الأنثروبولوجي الإستشراقي والكولونيالي قد غالى في تفسيراته حينما ربط هذه الممارسات بالبقايا الوثنية القديمة، فهذا «**ادوارد وسترمارك**» يميز بين الدين الرسمي الأرثوذكسي الفقهي والدين الشعبي لدى المغاربة الذي ينطوي على السحر والأرواح الشريرة والاعتقاد في الأولياء، ويرى أن العادات الوثنية العربية والبربرية ظلت

[1] محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 43.

مستمرة في المعتقدات الدينية ولم يستطع الإسلام القضاء عليها، والأمر عينه يراهن عليه «**ادوارد مونتي**» حينما يذهب إلى أن تقديس الأولياء ما هو في حقيقة الأمر إلا نسخ لعبادة الآلهة الوثنية اليونانية منها والرومانية، وفي الإتجاه نفسه يشدد «**ادموند دوتي**» على البقايا الوثنية والتوحيد المفرط الذي أجبر به الإسلام المغاربة للبحث عن عبادة الأولياء باعتبارهم وسائط.

وقد تعرضت هذه النظرية لعدة انتقادات، لأن الإنسان المغربي مهما وصل تعلقه بتقديس الأولياء لا يصل لدرجة عبادتهم، فهو يقر بوحدانية الله ويؤمن بأن ما وصلوا إليه من ولاية وما ظهر على أيديهم من كرامات هبة ربانية، ومن ثم يمكن دحض وتفنيد مختلف النظريات الإستشراقية ذات المنحى الأنثروبولوجي المتعسف في تأويلاته وتفسيراته. [1]

ومن وجهة نظرنا فإن تفسيرات أنثروبولوجي الإستشراق لا تتعارض مع إقرار المغاربة بالوحدانية لله، فأصول تقديس الأضرحة تعود لأزمنة غابرة سبقت وصول الإسلام لهذه الأرض، وعليه فإن حفاظها على وجودها واستمرارها يعتبر رواسب ثقافية بقيت محفورة في الذاكرة الجماعية والوعي الجمعي عبر العصور، وما فعله المغاربة هو تكييف ما استجد -**أي الإسلام**- مع ما كانوا عليه ووجدوه من ديانات الأجداد القديمة.

المطلب الثاني: تقديس أضرحة الأولياء واقع ملموس:

إن أول ما يلفت نظر الباحث في مجال المعتقدات الشعبية في الجزائر تلك المكانة التي تحظى بها زيارة الأضرحة والأولياء، والانتشار المذهل لعددها، إلى جانب بروز ممارسات طقوسية واحتفالات متميزة تطبعها بطابعها الخاص، ومما يستقطب أكثر اهتمام الباحثين هو سيطرة الحكايات وقصص الأولياء على عقول بعض الناس سيطرة مطلقة.

إن هذه الظاهرة تعد ترجمة حية للعقل الخرافي الذي واكب الفكر الإنساني منذ مدة طويلة ولا زال يعيش معه جنبا إلى جنب يساير بعض الأنظمة الإجتماعية والسياسية والثقافية، استغلته الدوائر الإستعمارية لتعميق بذور الجهل والتخلف في الأوساط العربية.

[1] عبد الإله الغزاوي، مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس، ج1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، ص 349.

فالواقع الشعبي يتحدث عن السرعة الفائقة التي انتشرت بها هذه الظاهرة، ومدى تشبث أفراد المجتمع بها إلى درجة التقديس والتبجيل، فعاد ضريح الولي بمثابة عيادة طبية مختصة يتوجه إليه كل من يمسه الأذى، وأكثر من هذا فعادة ما تجعل الشائعات من هذا الولي مختصا في علاج مرض دون آخر، مما أفرز اختصاصات طقوسية يتميز بها الزائر عن الآخر أو يميز ولي عن آخر في إشفاء المريض.

تقول «**نبيلة ابراهيم**»: **"حكا لي أحد الصيادين في مدينة رشيد عن ضريح أبي منذور الذي يقع على شاطئ البحر، فقال أن ضريح هذا الولي بحد ذاته يثير العجب فهو يقع على الشاطئ بين البحر والكثبان الرملية، فلا العواصف الرملية تغطيه ولا البحر يتهيج فيغرقه، وفي كل يوم جمعة يبصر الصيادون عندما يخرجون مساء للصيد نورا يخرج من الضريح ثم يسير على صفحة المياه حتى يصل إليهم على الشاطئ ويظل هذا النور يرافقهم بعض الوقت في أثناء إبحارهم حتى يعود، فيدخل الضريح مرة أخرى، وعند ذلك يشم الصيادون رائحة زكية تفوح في الأرجاء، فإذا كان البحر هائجا فإنه يعود إلى الهدوء مرة أخرى"**. إن مثل هذه الحكايات والتي تتكرر في مختلف الأقطار العربية لا تهدف بدرجة أولى إلى استمالة قلوب الناس بحقيقة حدوث الفعل، بل تهدف في المقام الأول إلى تأكيد وإثبات قدرة الأولياء في حياة الناس، ومن جهة أخرى تعكس لنا الخيالات الخصبة عند البحارة الصيادين بصفة خاصة وما تمليه ظروفهم الصعبة في رحلاتهم الخطيرة، فيزعمون أنها تنجيهم من الأضرار.

وأكثر ما يستدعي اهتمام الباحث في المعتقد الشعبي الجزائري هو ذلك العدد الكبير من الأولياء وأضرحتهم، وخاصة في المناطق الغربية، والذين -**في الإعتقاد الشعبي**- جديرون بخلق المعجزات وتحقيق الكرامات، وقد ذهب بالبعض منهم إلى تمثيل أدوار كبيرة في الحياة السياسية، هذه النقطة الحساسة استغلها الإستدمار في السيطرة على ذهنيات الأهالي كما أنه حتى لو ثبت في بعض الحالات -صدفة- عند نبش القبور والأضرحة العثور على حيوانات يعتقد فيها كثيرا أنها حمير أو كلاب. ويرى المعتقد بأن الأولياء هم الوساطة بين الإنسان وخالقه، وربما ليس من المبالغ فيه القول بأن المعتقد الشعبي يؤدي إلى الإعتراف للأولياء بسلطان فعلي خارق لا يقاوم.[1]

[1] سبوح رشيد، المعتقدات الشعبية في الجزائر –العين نموذجا–، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004، ص 71، 72.

إن ظاهرة زيارة الأضرحة والأولياء ليست وليدة العصر ولا الساعة بحيث ارتبط ظهورها بقرون كثيرة مضت، ولعل ما يثبت شدة تمسك الأهالي بها هو سعة انتشارها عبر مختلف أنحاء الوطن العربي دون استثناء، حيث لا تكاد تقف عند مدينة أو قرية أو دشرة إلا وتختص وليا أو ضريحا لأحد الصالحين بين يديها، يتوافد عليه أهل المنطقة عندما يلتحق بهم الضرر أو يصابون بالأذى.

لو أخذنا الجزائر كعينة لوجدنا قسنطينة على سبيل المثال ممثلة في شخص الولي سيدي راشد، ولو عرجنا على الجزائر العاصمة لوجدنا شموخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي يتعاظم به الدزيريون، وعندما نحط الرحال بوهران نجد تسمية هواري تكثر وبقوة ارتباطا بالولي الصالح سيدي الهواري [1]، وفي بسكرة نجد سيدي زرزور وسيدي الأخضري وسيدي عقبة -**موضوع دراستنا**-.

المبحث الثالث: من التصوف إلى تقديس الأولياء:

المطلب الأول: التحول من التصوف إلى تقديس الأولياء:

لقد كان التصوف في بادئ الأمر عبارة عن نوع من العبادة، ثم ارتبطت هذه العبادة بأشخاص عرفوا بولايتهم أثناء حياتهم، وبعد مماتهم صارت قبورهم قبلة يحج إليها الناس؛ وبالتالي مكانا للتقديس. حيث يبحث الناس عن مفعول البركة التي يتوفر عليها أهل الخير والشرفاء من أهل البيت -**على اعتبار أن للأولياء نسب شريف**-، إن الهدف الأسمى من التصوف هو جعل الله مفيدا ماديا -**إن صح القول**- للكائنات الذين فضلهم بالبركة. "**لقد أدت العقائد الصوفية التي عملت على تأليه الإنسان وأنسنة الإله إلى نشوء ظاهرة تقديس الأولياء، أي نوع من الوثنية التي لا دخل لها بالإسلام الحقيقي**" ، وبما أن الشعوب قد سيطرت عليها العقلية الخرافية فقد نسبت لشيوخ الزوايا قوى خارقة للعادة؛ فنشأت الطرقية، إن ظاهرة تقديس الأولياء في المنطقة المغاربية تولدت عبر قبيلتين أمازيغيتين هما: **المصامدة والصناهجة**، إن الأمر لا يتعلق بالنسبة للعامة إلا بتقديس الشيخ المتمثل في نفوسهم، ووجد الشيخ قطيعا منقادا له بجسمه وروحه. لقد تطور التصوف بسرعة؛ ومن هذه الإنطلاقة السريعة للتصوف

[1] سبوح رشيد، مرجع سابق، ص73، 74.

نشأت ظاهرة **"تقديس الأولياء"** ، واستغل بعض الرؤساء هذا الحدث لبسط نفوذهم مستعملين التجسس والخرافة والرعب والشعوذة في بعض الأحيان.

إن تعظيم الشخصيات النادرة -**الشيء الغريب عن روح الإسلام**- ساعد على نشوء التصوف ونظمته الطرقية. لقد وجد في إفريقيا تعبيرا شعبيا في المرابطية التي ظلت حية إلى حد الآن.

والمرابطون في المخيال الشعبي هم أشخاص ورعون نشروا في المغرب خاصة العقيدة والفضيلة الإسلامية، وكذلك الذين فعلوا ذلك سواء في إطار الطرقية أو في إطار شخصي محض.

لقد ظلت المرابطية، أو ظاهرة تقديس الأولياء منتشرة في البلاد البربرية **(الجزائر والمغرب خاصة)** باستثناء المدن الكبرى، ويمكن أن نردد مع روندوت بأن هذا التقديس **"يشكل تقريبا الدين الوحيد للفلاحين وخاصة النساء"**. امتزج هذا التقديس في الوسط الإفريقي بالإسلام.

إن نشاط الطرقية وتقديس الأولياء يتوافق في المغرب والجزائر مع الإحساس الشعبي العميق - **الذي على ما يبدو**- لم تفلح الانتقادات السنية في استئصاله نهائيا. تشيد القبب على قبور الأولياء وبعضهم لا قبب لهم، تظل قبورهم عارية لأنهم يريدون أن يروا السماء وأن يستغيثوا بالمطر وأن تزورهم الطيور، وآخرون يحاطون بسياج من الحديد أو هرم من الأحجار تشير إلى المكان الذي كان يتعبد فيه الولي أو كان يستريح فيه خلال حياته أو مر منه ذات مرة.[1]

المطلب الثاني: نوع الأولياء:

يميز «**درمنغهام**» بين نوعين من الأولياء: الأولياء الرسميون، الأولياء الشعبيون... وإردافا عليه نذكر نوعا ثالثا، وهو ولاية الحمقى والمجاذيب.

1. الأولياء الرسميون:

هم أشخاص جدّيون ومثقفون في الغالب، أسند إليهم لقب الولاية بعد أن قضوا حياتهم في التقوى والورع، ومن المعتقد أن ما يرضي السماء هو حياة مثالية تتجلى في ممارسة الطقوس

[1] محمد زوزيو، ظاهرة تقديس الأولياء وأثرها على الحياة الاجتماعية، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب، 2013، ص 125، 126.

الدينية (الصلاة بدون انقطاع وصيام منتظم والإحسان إلى الفقراء والإمتناع عن المحرمات...) فبالتعاطي إذا للحياة الدينية على نطاق واسع، وبالتفرغ لدراسة العلوم الدينية في بعض الزوايا يصير الإنسان شيئا فشيئا وليا حبيبا لله، ومنذ البداية يختار الزهاد أماكن يصعب العيش فيها كالصحاري والجبال؛ وقد كانت حياة الأولياء تتسم بهذا الطابع.[1]

وبالنظر إلى نموذج دراستنا وهو سيدي عقبة ابن نافع؛ فإننا نجده ينتمي إلى هذا الصنف فهو عارف بعلوم الدين زاهد في الحياة الدنيا ناذرا حياته للجهاد.

2. الأولياء الشعبيون:

يعتبر هؤلاء كائنات خارقة للعادة، إنهم يتنبئون بالغيب ويحققون المعجزات، كما يعتقد العامة أن هؤلاء الأولياء لديهم وسيلة مخالفة لقانون الطبيعة للانتقال من مكان إلى آخر. إنهم يعبرون النهر مثلا مشيا على سطح الماء، يطيرون في الهواء مع الطيور، تطوى لهم الأرض ولا تؤذيهم الحيوانات المفترسة، وتخضع لهم الوحوش الضارية، ويركع الناس في حضرتهم. وقد يحدث لولي أن يراه الناس في أماكن مختلفة في نفس اللحظة لأن لديه أكثر من جسم واحد.[2]

ولعل أقرب مثال يحضر إلينا الآن ممن ينطبق عليه القول في المرويات الشعبية المحلية في بسكرة ضريح سيدي زرزور الذي يوجد على مجرى واد يقسم مدينة بسكرة إلى جزئين، ويقال أن الواد مهما حمل فإن الضريح يشتت أمواجه ويحافظ على سلامته ويمنع فيضانه أيضا.

3. ولاية الحمقى والمجاذيب:

هناك طبقة من الأولياء تنضم إلى الحمقى والمعتوهين، ينسب هذا النوع من الحمق لتأثير فوق طبيعي مما يجعل الحمق والبلاهة يتسمان بعلامات الولاية. إن الأمر يتعلق في نظر البعض بالمجاذيب الذين تعرضوا لإنخطاف صوفي فأصبحوا مسكونين من طرف الروح الإلهية. وهؤلاء المجاذيب يطلق عليهم أيضا اسم **(البوهالا والمخلخلين)**. ويقدسهم الناس كالأولياء سواء بسواء يعجبون بتصرفاتهم حتى ولو كانت مشينة، ولا يطالبونهم بممارسة الطقوس الدينية، لأنهم قد

[1] محمد زوزيو، مرجع سابق، ص141.
[2] محمد زوزيو، نفس المرجع، ص 141.

يكونون أولياء يخفون ولايتهم بارتكاب الحماقات، فالولاية تختفي وراء مسائل غريبة، كما أن الكنز مثلا يختفي بين الأطلال. إن المختلين عقليا الذين لا يؤذون الناس يعتبرون في العالم العربي محبوبين من طرف الله ويضمنون السعادة لأهل القرية، وينشرون الحظ بين صفوف الناس، كما هو الحال بالنسبة لبعض الممسوسين الذين يمنعون بحضورهم حدوث الكوارث ويحملون السعد لمن يقترب منهم، وببركة المجذوب يسقط المطر وينبت الزرع، وإذا ضل طريقه في الصحراء تغذيه الأسود.[1]

[1] محمد زوزيو، نفس المرجع، ص 142.

الفصل الرابع: ضريح عقبة ابن نافع (شكل المزار وعمارته)

المبحث الأول: مورفولوجيا مسجد الضريح

المبحث الثاني: وصف حالة الضريح

المبحث الثالث: البعد المجالي للعمارة ووظائفه

المبحث الأول: مورفولوجيا مسجد الضريح:

المطلب الأول: روايات التأسيس:

على بعد ثماني كيلومترات من قرية **تهوذا** بني مسجد عقبة ابن نافع إلى جانب ضريحه، ولكن لا توجد مصادر تاريخية تشير بدقة إلى تاريخ بناءه، ولكن المؤكد هو أن جامع القيروان أقدم منه كما يرى **د. مؤنس**؛ فيرجح أنه كان ضريحا أو روضة في البداية ثم أصبح مسجدا، ولم تشر الصخرة الكوفية التي تمثل شاهد القبر إلى أي تاريخ، ويرجع **مارسي** تاريخ تلك الكتابة إلى القرن الخامس الهجري، ويقول الشيخ **عبد المجيد بن حبة**[1] أنها وجدت مع الجثة داخل القبر، ويقول الشيخ **زهير الزاهري**[2] أنها نقشت قبل ظهور النقاط والتشكيل بنحو عشرين سنة.

والراجح أنه بني في الفترة الممتدة بين 82 هجرية/ 701 ميلادي و140 هجرية/ 758 ميلادي لأن هذه الفترة تمثل فترة حكم الفهريين لأفريقية. وكان من مسؤوليتهم التاريخية تخليد ذكرى عقبة ابن نافع كفاتح عظيم وملهم.

عرف المسجد عدة ترميمات، في عهد الدولة العبيدية ثم في عهد الدولة الزيرية، والتي شهدت إهداء **المعز ابن باديس الصنهاجي باب طبنة** للمسجد في زمن المهادنة بين دولته **الزيرية** والدولة **الحمادية** التي كان إقليم الزيبان يخضع لها، وهو الباب الذي يمثل أحد مؤشرات قدم المسجد لأنه أهدي في بدايات القرن الرابع الهجري.

كما عرف المسجد ترميمات جديدة في عهد الدولة العثمانية [3]، وهي الترميمات التي قضت تقريبا على المعمار القديم للمسجد على الأقل من الداخل؛ وهي الغالبة اليوم؛ والتي سنراها في ما سيأتي، وقد استمرت الاصلاحات والترميمات في العهد الفرنسي وبعد الاستقلال، إلى أن تم بناء المسجد الجديد الملاصق للمسجد العتيق؛ فيتحول المسجد العتيق إلى متحف مفتوح مع بداية 2008.

[1] من أعلام المنطقة.

[2] من أعلام المنطقة.

[3] عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآثار1985، ص 16-25.

المطلب الثاني: وصف مسجد الضريح:

أولا: الوصف الخارجي:

يقع المزار داخل المسجد العتيق الذي بني عليه، وقد تم بناءه من مواد محلية، حيث بنيت الجدران من قوالب طينية "**اللبن**" المكونة من (التراب والماء والتبن).

مدخل المزار 1

مدخل المزار 2

مدخل المزار 3

منارة وقبة المسجد العتيق

للمسجد ثلاثة مداخل بنيت على شكل مربعات مدوبة ، وهو ذو طابع معماري مغاربي وبسيط. وقد عرفت المنارة ترميما عام 1214 هـ (1789م).

ثانيا: الوصف الداخلي:

أما السواري (العرص) فبنيت من جذوع النخيل؛ ومن نوع اليتيمة بالتحديد، وقد تم تلبيسها بالجبس في الجزء العلوي؛ ورصعت في الجزء السفلي بالخشب المزخرف ذو اللون الأخضر.

السقف

قاعة الصلاة

وبخصوص السقف، فإنه مكون من جذوع النخيل أيضا.

تشكل أشجال العرعار شبكة من السواري الأفقية المتشابكة مع السواري العمودية على ارتفاع منخفض، ووظيفتها الحفاظ على التوازن وتوزيع الضغط، كما تعلق عليها قناديل الإنارة.

قنديل إنارة

السواري الأفقية

السواري

عرف المسجد عبر تاريخه عدة ترميمات، ويذكر الشيخ **الطيب ميلودي** الترميمين الذين حصلا في العهد العثماني فقد تم ترميم المحراب والصفوف الثلاثة الأولى عام 1214 هـ (1789م)، حيث زخرف المحراب بشكل يوحي بشروق الشمس -دلالة على أن القبلة باتجاه المشرق-، وكُتب على المحراب: **"بنى هذا المسجد المفخم محمد بن الكبير التونسي وفقه الله".**

المحراب 1

وفي منتصف المحراب كُتب على سطرين: **"الحمد لله هذه تذكرة لمن نظر فيها بعدما يدعو لنا بالرحمة والغفران ولكاتبها أحمد بن الحاج محمد التونسي** [1]" في السطر الأول، وفي السطر الثاني: **"العافية الباقية العالية لقد تم بنيانه على يد أسطع** [2] **محمد بن الكبير التونسي عام 1214 من هجرة رسول الله". كما** رُصع المحراب بخزف تركي أصلي ثم تم طلاءه ضمن عمليات الترميم المستمرة ليأخذ اللونين الأصفر والأخضر الغامق.

المحراب 2

خزف عثماني

فوق المحراب مباشرة توجد نافذة دائرية زجاجها ملون بألوان الطيف، وظيفتها الإعلان عن الشروق. كما تبدو الزخارف ذات الطابع المغاربي واضحة جلية، إذ لا يكاد يخلو منها مكان في المسجد فهو زينة ورمز ثقافي للمنطقة.

تتواجد القبة أعلى المحراب وزخرف عليها دعاء ولا تغيب عنها الزخارف ذات الطراز المغاربي كبقية ثنايا المسجد.

نافذة بين المحراب والقبة

قبة المسجد

[1] كان شيخ البلاد ووكيل وراعي المسجد

[2] مهندس باللغة التركية

كما يتواجد المنبر على يسار المحراب، وهو مزخرف وكتب عليه دعاء، وكان مستغلا إلى غاية 1998 حيث استبدل بآخر جديد.

المنبر 1

المنبر 2

وعلى الجانب الأيمن من المحراب توجد مقصورة الإمام، وتسمى في المجتمع المحلي **بالزاوية الزعيمية**[1]، ووظيفة الزاوية الزعيمية تشبه وظيفة **تاجماعث**، حيث يتم اجتماع أعيان المنطقة وتقرير مختلف القرارات التي تحكم سير المجتمع المحلي هناك.

المطلب الثالث: باب طبنة:

باب طبنة

وهو باب يتجاوز عمره الألف عام، إذ أهداه المعز ابن باديس الصنهاجي في القرن الرابع الهجري للمسجد، وهو من أدلة قدم بناء المسجد، وسمي بباب طبنة لأنه صنع بمدينة طبنة[2]، وهو باب مصنوع من شجرة البقنون (الشجرة التي يصنع منها القطران).

كان الباب في الجهة الشرقية من المسجد مستخدما كمدخل رئيسي، ثم تم نقله في أواخر الستينيات إلى المكان المتواجد به حاليا في مصلى النساء من أجل الحفاظ عليه.

[1] إخباري (الشيخ الطيب ميلودي)
[2] مدينة بريكة التابعة لولاية باتنة

وعلى الباب رسومات مزخرفة لأسلحة كرأس الحصى والسهم، وكذلك رسم لعجلة وتحته توجد زهرة، ولهذه الرسومات دلالات؛ إذ تشير الأسلحة إلى الجهاد والعجلة إلى سيران حركة الفتوحات والزهرة إلى رسالة الإسلام والسلام.

رأس الحصى

سهم

عجلة

زهرة

صخرة ابن حيوة 1

صخرة ابن حيوة 2

وفي نفس المكان الذي يُحتفظ فيه بالباب توجد صخرة جلبت من منطقة قرطة [1] وبالتحديد من جامع ابن حيوة كتب عليها: "**بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على محمد وصل على من صلى عليه. هذا قبر عبد الرحمن ابن حيوة ابن زهير الحضرمي من أهل حمص. المتوفى سنة 17 جمادى الأولى سنة 127 هـ**"، ويقال أنه من التابعين الذين جاءوا لنشر الإسلام في شمال إفريقيا. وقد جلب هذه الصخرة عام 1989 الشيخان عبد المجيد بن حبة وزهير الزاهري[2] من أجل الحفاظ عليها باعتبارها إرثا تاريخيا.

[1] إحدى قرى ولاية باتنة

[2] من أعلام وأعيان المنطقة

المبحث الثاني: وصف حالة الضريح:

يتواجد الضريح داخل المسجد في المنتصف على الجهة اليمنى حيث له باب على مصلى النساء وباب آخر على جهة مصلى الرجال، وعلقت على جداره الخارجي قصيدة ألفها أحد مشائخ الأزهر [1] الذين جاءوا إلى الجزائر عام 1967 مدح فيها عقبة ابن نافع.

كما عُلق على جداره الخارجي ثبت تعريفي لعقبة ابن نافع رضي الله عنه تحمل وسم مديرية السياحة والصناعة التقليدية لولاية بسكرة ومكتوب بالخط المغربي، وضعت بتاريخ: الثلاثاء 04 رجب 1434 هـ الموافق 14 ماي 2013.

جدار الضريح 1

جدار الضريح 2

الصخرة الكوفية

كما توجد صخرة مكتوبة بالخط الكوفي وجدت على ضريح عقبة ابن نافع تثبت إثباتا ماديا أن القبر له، كتب عليها: **"هذا قبر عقبة ابن نافع رحمه الله"** . ولعل الإكتفاء بهذه الصخرة كدليل على أن القبر لعقبة ابن نافع يعتبر أمرا غير كاف، على اعتبار الظروف التي استشهد فيها عقبة ابن نافع إضافة إلى الرواية التي تقول أنه مدفون في القيروان.

[1] محمد عبد الرسول أبو الهمام.

على الجدار الخارجي للضريح أيضا نجد إطارا خشبيا مصنوعا من شجر الزيتون كتب عليه: **"يا واحد يا أحد اغفر لعبدك أسطع بلكبير التونسي اغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، تم بنيانه عام 1215هـ واغفر لأحمد بن الحاج التونسي وفقه الله".**

شهادة الترميم

باب الضريح

يتواجد التابوت في منتصف غرفة الضريح، أما الضريح فهو يقع تحت التابوت مباشرة ولكن على عمق حوالي مترين وبالنظر إلى الأعلى نجد مباشرة قبة الضريح التي تم إعادة ترميمها في سياق عملية الترميم التي مست غرفة الضريح عام 1215 هـ (1790 م)، وأعيد ترميمها مرة أخرى سنة 1998 فرصعت بالخزف والنحوت على الطراز المغاربي حيث كانت من قبل ملبسة بالجبس فقط، وكان مكتوبا عليها في الجزء العلوي تاريخ عقبة ابن نافع رضي الله عنه.

الضريح 1

الضريح 2

قبة الضريح

للغرفة مدخلين أحدهما للنساء مفتوح على جهة مصلى النساء والآخر للرجال، كما يوجد شباك يطل على المسجد. كما علق على جدار الغرفة إطار به مقال بعنوان: الفاتح المنصور والأسد الهصور – سيدي عقبة ابن نافع الفهري، يتحدث فيه كاتبه (بلقاسم آيت حمو) عن كرامات نسب عقبة ابن نافع وتاريخه وكراماته.

المبحث الثالث: البعد المجالي للعمارة ووظائفه:

المطلب الأول: البعد المجالي للعمارة:

يمثل المسجد مكان العبادة الذي يتجمع فيه المسلمون يوميا لأداء صلواتهم الخمسة، وقد اعتبر النمط الوظيفي الذي أنتجته وتجسد فيه العقيدة الإسلامية، فقد أشار «**اللواتي**» إلى أن حيز المسجد كان مطبوعا دائما بالأفقية الدالة على المعنى الإجتماعي الذي يجسده وقوف المصلين صفوفا عريضة متتالية وراء الإمام الذي لا يمثل أكثر من مجرد صوت ينسق حركة المصلين الجماعية، ويترتب على ذلك أن حيز المسجد يتجزأ أو يتوسع بقدر عدد المصلين، وهو لا يخضع لفكرة مركزية ساكنة، وهذا ما يفسر عمليات التوسع الكثيرة للمساجد عبر التاريخ لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين ويعطينا فكرة عن طبيعة التمدد والانتشار لحيز المسجد، كما لاحظ أن ليس للمسجد قداسة خاصة تتصل بصفته كمسجد ولا يتم بنائه في مكان خاص ولا يحاط بالأسوار، وهو مخترق في كل حين ويفتح أبوابه على معابر المدينة وطرقاتها التي تستمر فيه، بينما يستمر حيزه إلى خارج الجدران باتجاه نسيج المدينة. وهذه الإشارات تدل ضمنيا على تأثير العقيدة الإسلامية وطبيعة فعاليات العبادة فيها في تشكيل الجزء الرئيس من أجزاء التنظيم الفضائي للمسجد.

ويتكون المسجد من عناصر معمارية رئيسة لها علاقة وثيقة بالتنظيم الفضائي له، تتمثل بحرم المسجد **(بيت الصلاة)** وهو الجزء المسقوف ناحية القبلة، والصحن وهو ما يوجد داخل جدران المسجد من فناء مكشوف ويمثل القلب والمركز الذي تتجمع حوله باقي مكونات المسجد، والأروقة (**الظلات)** وهي فضاءات مسقفة تحيط بالصحن من جانب واحد أو أكثر، وتنفتح عليه، والمداخل التي تشكل المفصل بين داخل المسجد وخارجه، والمئذنة وهي من العناصر التي لم تكن موجودة في النماذج الأولى للمساجد، إلا أنها ارتبطت به ارتباطا وثيقا من الناحية الدلالية والرمزية، وأخيرا فإن للمسجد فضاءات خدمية تشكل مفرداتها عناصر للتنظيم الفضائي في المسجد حيثما وجدت.[1]

[1] علي حيدر الجميل، خصائص التنظيم الفضائي للأبنية الدينية –دراسة مقارنة لأبنية العبادة في حضارات منتخبة–، جامعة الموصل، ع10، 107، 108.

ويشكل الضريح بالنسبة لمساجد الأضرحة كما هو الحال بالمسجد العتيق بسيدي عقبة؛ يشكل القلب النابض للمسجد؛ والشاهد على قدسية المكان إذا استثنينا القدسية المستمدة من وظيفية المسجد. فالأغراض المقدسة من زيارة الضريح مقدمة على غيرها من الأغراض المقدسة كالصلاة؛ بدليل أن اتخاذ مسجد الضريح قاعة للصلاة الجماعية توقف بشكل رسمي عام 2008، ولكن زيارة الضريح مستمرة ولم تتوقف.

المطلب الثاني: وظائفه:

بالإضافة إلى الوظيفة الدينية الرئيسة للمسجد فقد كان المسجد مركزا للتعليم وكان دارا للقضاء بين الناس، وكان أيضا مقرا للحكم وإدارة شؤون المسلمين واتخاذ القرارات السياسية في البدايات...

أولا: وظيفة القباب:

يتخذ المكان المقدس مزارا يتفاعل معه الناس، والمزارات مواضع قررت العادة زيارتها للتبرك بمن جلس فيها من الصلحاء أو دفن عندها، ومن أجل تبجيل المزار يحاط بالبناء الفخم، وتضرب عليه القباب الشاهقة ويزدان بالزخارف المثيرة، ويؤثث بالتحف النفيسة، ولذلك فإن أغلب المؤسسات الدينية كانت تحتوي على ضريح مؤسسها، والذي تهيمن قبته وحدها على المجال المحيط، وإن حضور هذه المآثر والتوقير الذي يحيط بها يشكلان خاصية للمدينة الإسلامية. فزيادة على البعد الهوياتي للقبة فإنها تبنى توقيرا لصاحب الضريح وإشارة له، كما تثبت عدة معاني كما سبق وأن وضحناها في المفاهيم.

كما أن هذه المزارات ساهمت في انتشار القباب داخل الهندسة المعمارية الإسلامية إلى درجة أن اللفظ العربي **"قبة"** ومرادفه في الفارسية **"Gunbad"** يعنيان في نفس الآن القبة بالمعنى التقني؛ والقبر المقدس بالمعنى الروحي. والقبة ترمز إلى الرفعة والشموخ والتسامي، وارتفاعها يؤشر إلى التلاحق بين الأرض والسماء، وبياضها يدل على الصفاء والطهر، وجامورها الأخضر يحيل على السلام والطمئنينة وقدسية المكان، وجامورها المذهب يفتح الدلالة على معاني الإشراق والنور واللمعان، وتكمن وظيفتها في تكريم الولي وتخليد اسمه والمحافظة على ذكراه. **(وللاستزادة يرجع إلى مفهوم الضريح ص 37)**

ثانيا: الأبواب والنوافذ:

كل الأضرحة تحتوي على أبواب غالبا ما تكون مقوسة باستثناء بعض الأضرحة التي تكون أبوابها مربعة، فمداخل مسجد ضريح سيدي عقبة مربعة الشكل لكن مداخل غرفة الضريح ومختلف مداخل الغرف في المسجد هي مداخل مقوسة، وتمثل هذه الأبواب تحفا فنية رائعة بفضل ما يعلوها من نقوش وتخريم خشبي وزخرفة. وبلا شك فإن ذلك مؤشر دلالي على أهمية صاحب الضريح والمكانة التي يحتلها في الوعي الجمعي، أما النوافذ فتتميز بزجاجها الملون بألوان الطيف؛ وزيادة على وظيفة الإنارة فألوانها تمثل الألوان الأساسية وهي بذلك تشير إلى أصالة الضريح أو الولي، كما أن النافذة الدائرية فوق المحراب تلعب دور المنبه على شروق الشمس.

ثالثا: الأقواس والزخارف والكتابة:

كل سواري المسجد تعلوها أقواس جبصية تربط بينها، والأقواس دالة على الإنحناء والتواضع أما دورها الجمالي فهو كسر رتابة الأشكال المربعة والمستطيلة، أما الزخرفة والكتابة فهما سلوكان ثقافيان وفنيان يلازمان الحضارة الإسلامية في مختلف أطوارها التاريخية، وقد ساهما معا جنبا إلى جنب تأصيل الإبداع الإسلامي نقشا ورقشا على الخشب والرخام والخزف والزجاج والجبص...

وتقوم الزخرفة الإسلامية على زخارف هندسية (الأشكال الهندسية والخطوط المتداخلة) وزخارف نباتية (فروع النبات وأوراقه) وزخارف كتابية (الآيات القرآنية، الأشعار والحكم). إن الفن الإسلامي مطبوع بالتكامل، فكل عنصر فيه ينمو في علاقته مع العناصر الأخرى، وهكذا يتحول عنصر زخرفي عرضي إلى عنصر معماري جوهري.[1]

وكل ما ذكرنا من عناصر لمسناها في مسجد ضريح عقبة ابن نافع، وهي بارزة للعيان جاذبة لمحبي الجمال والفن، ضاربة في أعماق النفس البشرية، ولعلها من أسباب بسط الراحة النفسية والاستقرار الروحي لمن يلج المكان.

[1] عبد الإله لغزاوي، مرجع سابق، ص493-504.

الفصل الخامس: زيارة الضريح بين الأغراض المقدسة والأغراض السياحية

المبحث الأول: التعريف بشخصية الولي

المبحث الثاني: زيارة العامة

المبحث الثالث: زيارة الخاصة

المبحث الأول: التعريف بشخصية الولي:

تمهيد:

فضلت استفتاح الحديث عن عقبة ابن نافع رضي الله عنه بذكر وصيته لأبناءه؛ وهي الوصية التي تخط بحروف من ذهب لمن وعى ما فيها من حكم؛ ونصها كالآتي: "**يا بَنيّ ! إني قد بعت نفسي من الله عز وجل، فلا أزال أجاهد من كفر بالله... يا بَنيّ ! أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها: إياكم أن تملئوا صدوركم بالشعر، وتتركوا القرآن، فإن القرآن دليل على الله عز وجل، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه. وأوصيكم أن لا تداينوا ولو لبستم العباء، فإن الدّيّن ذل في النهار وهمّ بالليل، فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم، وتبقى لكم الحرمة في الناس ما بقيتم، ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيجهلوكم دين الله، ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى، ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والاحتياط، فهو أسلم لكم، ومن احتاط سلم ونجا في من نجا. وعليكم سلام الله، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا. اللهم تقبل نفسي في رضاك، واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك**".[1]

المطلب الأول: نسبه وولادته:

هو (**عقبة ابن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث بن فهر القرشي**)، فهو يلتقي مع النبي ﷺ عند جده الأعلى "**فهر**".[2]ولد قبل الهجرة بسنة واحدة في مكة المكرمة. أبوه (**نافع**) كان من جملة المشركين الذين ناوئوا الإسلام وحاربوه، ولكنه أسلم بعد فتح مكة.[3]واختُلف في نسبه من ناحية الأم، فقيل هي (سَبيّة) من (عَنَزَه) اسمها (**النابغة**) وعليه فهو أخو (عمرو ابن العاص) لأمه. وفي رواية هو ابن خالة (عمرو ابن العاص)، وفي رواية أن (عمرو ابن العاص) خاله، وفي رواية

[1] بسام العسيلي، قادة فتح مصر والمغرب، ط1 ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت2012، ص 141.
[2] محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي، ط1 ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية2006، ص 64.
[3] بسام العسيلي، مرجع سابق، ص146.

أخرى أنه ابن أخ (العاص بن وائل السهمي) لأمه. وعلى كل فإن قرابة **(عقبة ابن نافع)** من **(عمرو ابن العاص)** ثابتة وإن اختُلف في ماهيتها.[1]

المطلب الثاني: نشأته:

لقد نشأ **(عقبة)** في بيئة إسلامية خالصة، ذات طابع عسكري بحت، فحمل سلاحه مجاهدا في العصر الذهبي للفتوحات الإسلامية و برز في ساحات القتال متحملا قسطه الأول في الجهاد، بحرص واندفاع وتجرد وإقدام، وذلك ليس غريبا ! فأهله **(بني فهر)** لهم ماض معروف في الحروب أيام الجاهلية، ولهم حاضر مشرف في الفتح الإسلامي، وأقرباءه وعلى رأسهم (عمرو ابن العاص) هم أبرز قادة الفتح.[2] كما لم تصح له صحبة للنبي ﷺ على قول صاحب السير، الذهبي.[3]

نما (عقبة) وحب الجهاد يسري في دمه، فقد عاش طفولته في السنوات الأولى للهجرة، والتي كانت تزخر بالفتوح والجهاد والغزوات، كبدر وأحد والخندق... وكان ملازما لابن خالته (عمرو ابن العاص) المجاهد الكبير والفاتح هو الآخر الذي أسلم قبل الفتح، فكان خير القدوة له.[4]

المطلب الثالث: جهاده:

في هذا الجدول سنوضح أهم مراحل حياته التي نذرها كلها جهادا في سبيل الله:

	سنة هجرية	سنة ميلادية	موجز الأحداث
1	1 ق هـ	621 م	ولادة عقبة ابن نافع الفهري القرشي في مكة المكرمة.
2	20	640	اشترك عقبة مع عمرو ابن العاص في فتح مصر.
3	21	641	تولى عقبة قيادة جيش من المسلمين وفتح زويلة (منطقة في جنوب غرب ليبيا حاليا)
4	21	641	وجه عمرو ابن العاص قوة للمسلمين بقيادة عقبة لفتح النوبة (منطقة في مصر تقع بعد أسوان على الحدود مع السودان)
5	22	641	عاد عقبة إلى أفريقية وتولى حامية برقة.
6	26	646	اشترك عقبة مع والي مصر الجديد عبد الله ابن أبي سرح في فتح طرابلس.

[1] محمد علي قطب، مرجع سابق، ص65.
[2] محمد علي قطب، مرجع سابق، ص66،65.
[3] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت،1996، ص 533.
[4] محمد محمود القاضي، عقبة ابن نافع الفهري فاتح إفريقية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر1999، ص 7، 8.

7	39	659	غزا عقبة ابن نافع الروم في البحر بأهل مصر.
8	41	661	غزا عقبة ابن نافع الروم وقبائل لواتة المتمردة في إفريقيا.
9	42	662	قاد عقبة المسلمين في برقة وفتح غدامس.
10	43	663	فتح عقبة (كورا) وهي أقاليم من السودان.
11	46	666	نزل عقبة بمغداش من سرت وفتح خادر (كادار).
12	49	669	غزا عقبة ابن نافع الروم في البحر، فشتا هناك بأهل مصر.
13	50	670	اختط عقبة مدينة القيروان وصيرها قاعدة متقدمة للمسلمين يرابطون فيها للغزو والحرب ويقيمون فيها أثناء السلم.
14	55	674	تولى ولاية مصر مسلمة ابن مخلد الأنصاري لمعاوية بن أبي سفيان، فعين مسلمة مولاه أبو المهاجر دينار لولاية أفريقية وعزل عقبة عن ولايته، وأساء أبو المهاجر معاملة عقبة وسجنه ثم أطلقه عندما طلب معاوية ذلك وسيره إلى الشام فوعد معاوية بإنصافه.
15	62	681	أعاد الخليفة يزيد ابن معاوية عقبة لولاية أفريقية.
16	63	682	قاد عقبة جيش الشام إلى برقة ثم جهز المسلمين وسار بهم حتى وصل الأطلسي. وخاض خلال مسيرته مجموعة من العمليات القتالية، واصطدم مع قوات البربر والروم خلال عودته فاستشهد في تهوذة سنة 63 هـ[1]

يظهر مضمون الجدول[2] أن حياة عقبة ابن نافع العسكرية مرت بثلاث مراحل، هي:

1. المرحلة الأولى: العمل بقيادة عمرو ابن العاص، ولقد كانت هذه الفترة مفيدة لبناء شخصية عقبة ابن نافع القيادية. وقد أفاد عقبة من هذه الفترة فاكتسب من عمرو ابن العاص الخبرات القتالية والكفاءات القيادية، كما أفاد من تجاربه الخاصة عند عمله بصورة مستقلة سواء عند فتح زويلة سلما للمسلمين، أو عندما عمل في النوبة، فكان أول من مهد السبيل لفتح النوبة من المسلمين.

2. المرحلة الثانية: تولى قيادة مستقلة كقائد لحامية برقة طوال الفترة بين 22 و25 هـ، أي زهاء اثنين وثلاثين عاما. ولقد استطاع عقبة خلال هذه الفترة أن يحقق منجزات ضخمة أقلها تأمين الحدود الغربية لمصر، كما تخللتها غزوتان بحريتان، ويأتي بناء القاعدة المتقدمة في القيروان بمثابة الذروة في منجزات عقبة ابن نافع كلها.

[1] شمس الدين الذهبي، مرجع سابق، ص534.
[2] بسام العسيلي، مرجع سابق، ص146.

3. المرحلة الثالثة: أعمال عقبة ابن نافع أثناء ولايته الثانية (62، 63 هـ)، وهي المرحلة الحاسمة في الصراع من أجل فتح إفريقية كلها.[1]

المطلب الرابع: استشهاده:

يشير المؤرخون إلى أن عقبة أهان كسيلة وأمره بسلخ الأغنام مع السالخين، مما جعل كسيلة يضمر السوء للمسلمين فكان كلما دحس في الشاة مسح يده بلحيته مما علق بيده من بلل ذلك، وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ ويقولون له: "يا بربري ما هذا الذي تصنع"؟ فيقول: "هذا جيد للشعر"، فمر به شيخ من العرب فقال: "كلا إن البربري يتوعدكم"، فقال أبو المهاجر لعقبة: "أصلح الله الأمير ما هذا الذي صنعت ! كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب كالأقرع بن حابس التميمي وعينية بن حسن وأنت تجيء إلى رجل هو خيار قومه في دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه؟ توثق من الرجل فإني أخاف فتكه"، فتهاون عقبة، فلما انصرف نكث البربر ما كانوا عليه وأقبلت النفرة إلى عقبة، فقال له أبو المهاجر: "عاجله قبل أن يجتمع أمره" فزحف إليه عقبة فتنحى من بين يديه، فقال البربر لكسيلة: "لم تهرب من بين يديه ونحن في خمسين ألفا وهو في خمسة آلاف؟" فقال: "إنكم كل يوم في زيادة وهو في نقصان ومدد الرجل قد افترق عنه فإذا طلب أفريقية زحفت إليه".

ونجد أنفسنا في مواجهة سؤال يطرح نفسه في إلحاح، وهو: لماذا لم يستجب عقبة ابن نافع لنصيحة أبو المهاجر دينار؟، في الواقع أن عقبة من القادة الذين يقسون على رؤساء أعداءهم ليكونوا عبرة لأمثالهم، فلا يقدمون على محاربة المسلمين، وقد كان خالد ابن الوليد يطبق نفس المبدأ في حربه مع الفرس والروم، فنجح خالد وفشل عقبة، لأن الفرس والروم لم يكونوا قبائل تعتز بالكرامة الشخصية وتؤمن بأخذ الثأر.[2]

أما البربر فكانوا يجلون رؤساءهم ويدينون لهم بالطاعة وتعتبر كل اعتداء على أحدهم اعتداء على قبائلهم، ويرون أن التغاضي عن الأخذ بتلك التقاليد عارا. لذلك اشتد غضبهم عندما وجدوا كسيلة في موضع المذلة والهون.

[1] بسام العسيلي، مرجع سابق، ص147، 148.

[2] عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، ط القاهرة، 2006، ص 77، 78.

ولما وصل عقبة إلى طبنة أذن لجنده بالعودة إلى القيروان على هيئة أفواج وسار في قلة من ج نده إلى تهوذا، وفسرت المصادر هذا التصرف من عقبة على أنه ثقة بما أحرزه من انتصارات، أم أن عقبة تسرع في هذا الأمر، أم أنه شعر بتهديد البيزنطيين للقيروان. وانتهز الروم تلك الفرصة وأغلقوا أبواب حصنهم وقذفوه بالحجارة وهو يدعوهم إلى الإسلام، وأرسل الروم إلى كسيلة بن لمزم الأوربي للانضمام إليهم فلبى دعوتهم وتسانده قبائل البرانس.

وعند تهوذا دار اللقاء الحاسم بين المسلمين من جهة والروم والبربر من جهة أخرى، واشتد القتال وطلب عقبة من أبي المهاجر أن يفك أسره من الحديد ليلحق بالقيروان ويقم بأمر المسلمين فرفض أبو المهاجر حبا في طلب الشهادة، وتمثل بقول أبو محجن الثقفي: كفى حزنا أن تقرع الخيل بالقنا ** واترك مشدودا على وثاقيا ** إذا قمت عنانى الحديد وأغلقت ** مصارع أبواب تصم المناديا **. وكسر عقبة والمسلمون أجفان سيوفهم واشتبكوا مع البربر فقتل المسلمون جميعهم.[1]

وقبره يزار بالزاب، كما أن أجداث الذين استشهدوا معه بمكانهم من أرض الزاب يزارون حتى يومنا هذا، وقد جعل على قبورهم أسنمة ثم جصصت، واتخذ على المكان مسجد عرف بمسجد عقبة.[2]

المطلب الخامس: كراماته:

❖ ماء فرس

في إطار حملة الفتح زحف عقبة جنوبا إلى فزان وفتحها حتى انتهى إلى خاوار ورد عن البكري جاوان وهو قصر عظيم ويقع في مفازة وعرة على ظهر جبل وهو قصبة كوار واتفق مع ملكها على دفع 320 رأسا من العبيد، وسأل عقبة الدليل عن البلدان الواقعة إلى الجنوب من كوار فأخبروه بعدم معرفتهم؛ فقفل عقبة راجعا[3] وأقام عقبة بمكان يدعى اليوم بماء فرس، ولم يكن به يومئذ ولا قطرة من الماء، فأصابهم عطش شديد أشفى بهم على الهلاك.. وصلى عقبة رضي الله عنه ركعتين ودعا الله

[1] عبد الحميد حسين حمودة، مرجع سابق، ص 79.
[2] محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 81.
[3] عبد الحميد حسين حمودة، مرجع سابق، ص 52.

تعالى.. ! فراح فرس عقبة يبحث بقوائمه في الأرض حتى كشف صفاة[1] فانفجر الماء منها، فجعل الفرس يمص ذلك الماء، فأبصره عقبة ونادى في الناس أن احتفروا فحفروا سبعين حسيا [2]، فشربوا واستقوا وسمي ذلك المكان "ماء فرس".[3]

❖ **فرار السباع والحيات**

عندما انتهى النقاش في جيش المسلمين حول موقع بناء مدينة القيروان سار عقبة ومن معه إلى الموضع الذي اختاروه وكان مكانا كثير الأشجار ومأوى للوحوش والحيات، فلما رأى أصحابه هذا المكان خافوا من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض، وكان في الجيش الذي مع عقبة خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ وسائر ذلك من التابعين فدعا عقبة الله سبحانه وتعالى وجعل أصحابه يؤمنون على دعاءه، ومضى عقبة إلى المكان ونادى: "أيتها الحيّات والسباع نحن أصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنا فإنا نازلون، ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه".

ونظر الناس بعد ذلك إلى أمر عجيب، فقد رأوا السباع تخرج من الشعار تحمل أشبالها، والذئب يحمل جروه والحيّات تحمل صغارها... ونادى عقبة في الناس: "كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا"، فلما خرج ما فيها من الوحوش والهوام وهم ينظرون إليها نزل عقبة الوادي وأمرهم أن يقطعوا الشجر.[4]

[1] صفاة: الصخرة الملساء

[2] حسي: الحاسي أو البئر.

[3] شهاب الدين البغدادي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، ص51.

[4] محمد محمود القاضي، مرجع سابق، ص33، 34.

المبحث الثاني: زيارة العامة:

المطلب الأول: زيارة عموم الناس:

إن فكرة الزيارة لدى الأوساط الشعبية اليوم لا يمكن أن نطلق عليها أنها مهيمنة إذ أن قلة قليلة من أفراد جيل اليوم نجدها أثناء الزيارة، فمن خلال ملاحظتنا لمكان الضريح فإن أغلب الزيارات تكون من كبار السن؛ كما أن أكثر الزوار نسوة، ومن خلال دردشتنا مع بعض الزائرات تمكنا من استكشاف الكثير من الحقائق والمعطيات.

إن أكثر ما يميزهن هو الولاء اللامشروط للولي وقداسة الولي، والاعتقاد العميق في ولايته وبركته، تقول إحداهن إن أهلها رجالا ونساء كانوا يأتون للزيارة ويصطحبونها؛ وكانوا يمارسون طقوسا قد اندثرت أكثرها اليوم، مثل الطواف على الضريح سبعة دورات؛ وفي محاولتنا الاستخبار حول معنى هذا الطواف وما المقصود منه تبين أنها لا تعرف حقيقة الأمر ولكنها كانت تفعل ذلك اتباعا لما كان يفعله معظم الزائرين، وفي اعتقادنا فإن قداسة الولي وبعده الروحاني والاعتقاد العميق بولايته وبركته يقتضيان الميل لممارسة الطواف محاكاة للطواف عند الكعبة، وهذا على اعتبار ما تقدم من عوامل مشتركة؛ بلا شك إنه التدين الشعبي الذي يأخذ شرعيته من خلط صريح للعادات والمعتقدات القديمة بما استجد من معتقدات جديدة كالإسلام، وهذا شأن التدين الشعبي عبر التاريخ.

وفي مقابلة أجريناها مع إحدى الزائرات، وهي طالبة جامعية صادفناها وفضلنا إجراء مقابلة معها بحكم أنها من القليلات من صغيرات السن اللائي يقمن بالزيارة، تقول بأن الزيارة تكون بشكل دوري ومستمر؛ حيث تأتي كل صباح جمعة برفقة بعض النساء من أهلها، وبعد المرور على المقبرة **(وتعد زيارة المقابر يوم الجمعة عادة شعبية في الجزائر)** يتم الذهاب إلى زيارة الضريح؛ وفي سؤالنا لها عن سبب الزيارة أجابت بأن مجرد الدخول إلى ذلك المكان يضفي على الإنسان راحة نفسية وسكينة.

من طقوس الزيارة قراءة الفاتحة على الضريح، والصلاة على النبي ﷺ، كما تجلب بعض النسوة البخور من شتى الأنواع ويقمن بتوزيعه في ثنايا المسجد العتيق؛ وكذلك يقمن بإشعال الشموع، وفي سؤالنا لهن عن سبب ذلك؛ كانت إجابتهن مقتصرة على تعطير المسجد، وربما يعد تعطير المسجد ظاهر

لما هو أعمق من ذلك، فقد أخبرني أحد كبار السن من الذين يزورون المكان أيضا بأن جلب البخور والشموع مرتبط بطقوس سحرية قديمة حيث انتقلت هذه الطقوس أيضا إلى زيارة الأضرحة ولعل هذا يتجلى في حرصهن على وضع البخور في كل الثنايا دون إهمال أي زاوية من المسجد، وأما دور هذا الفعل فحسب ذات الشيخ متعلق بترهيب **الآخرين -حسب لفظه- (الجن)** وجعلهم لا يتجرءون على أذية الناس، فإشعال البخور والشموع طقس يستدعى به الجن، وبحضورهم إلى مكان الضريح الذي يعتقد الزائرون أنه محاط بالملائكة **-حسب إحدى الزائرات أيضا-** تحصل مواجهة بينهم وبين الملائكة فتهزمهم الملائكة ويتركون المكان ولا يعودون.

وقد قال شيخ آخر من الزائرين نفس الكلام تقريبا ولكنه أضاف مسألة قداسة المنطقة ككل بحكم أنها مخضبة بدماء الفاتحين من جهة والمجاهدين من جهة أخرى؛ فهي مدينة مقدسة ومباركة، كما أن سكان المنطقة يفضلون اصطحاب ضيوفهم إلى الضريح؛ وهي عادة متوارثة.

إن الزيارات بشكل عام تكثر في أوقات العطل؛ وهذا ما لاحظناه من خلال زياراتنا الدورية للضريح، ففي عطلة الربيع التي شهدت أكثر زياراتنا زار المكان عدد معتبر؛ على الأقل في الأوقات التي كنا متواجدين فيها بالمكان. مع أن نسبة قاصدي الزيارة للأغراض المقدسة من العامة قليلة.

وتجدر الإشارة إلى أمر مهم أخبرنا به أحد شيوخ المنطقة؛ وهو أن الضريح كان يعد مسرحا للحلف وأداء اليمين لدى الناس، فمختلف عمليات البيوع والشهادات وجميع شؤون الحياة كان يؤدى اليمين عليها عند الضريح، ودل ذلك على اجتماع الوظائف الدينية والاجتماعية والاقتصادية في الضريح، فكتابة العقود أو عقدها عرفيا لا يتم إلا في الضريح، وذلك يمنح العقد نوعا من المصداقية لدى الناس، كما أن أداء الشهادات على الجرائم مثلا أو الخلافات وحلها في المكان يعد تزكية للحكم الذي سيصدر هناك...

ومن مظاهر البركة **-تقول الآنسة س س-** أن صديق والدها من الجزائر العاصمة؛ عندما زار الضريح ودعا عنده بأن يرزقه الله الأولاد، لم تكد تمر إلا بضعة أيام حتى اكتشفت زوجته أنها حامل وحصل هذا بعد أن بقيا لمدة 11 سنة بدون أولاد؛ وبزيارته للضريح تحقق مراده وسما ابنه **"عقبة"**.

إن ذكرنا للقصة لا يلزم منه أننا نؤمن فعلا بأن زيارة الضريح هي السبب الذي أدى بزوجة هذا الرجل إلى الحمل، ولكن نذكر القصة كرواية تحظى راويتها بالمصداقية لنصدق حدوثها لا لنصدق أن ذلك حصل كأثر للزيارة، ويبقى هذا الأمر غير مطلوبا بحكم حياديتنا، فنحن ننقل التصورات الثقافية لزيارة الضريح كما يراها الزوار أو سكان المنطقة لا كما نراها نحن.

وفي قصة مشابهة تذكرها لنا عن كثير من الفتيات اللائي كن عازبات، فبزيارتهن للضريح والدعاء باستمرار رزقهن الله بأزواج، إنها "**بركة سيدي عقبة**" كما يقول أهل المنطقة.

إن أغراض الزيارة كثيرة، ولكن أهمها شيئين، طلب الأولاد، طلب الزواج، فضريح **سيدي عقبة** إذا هو من جملة الأولياء المتخصصين، حيث إن هنالك أولياء متعددي المهام ولكن هناك أولياء مختصون في الرزق وآخرون مختصون في الخصب ك**سيدي عقبة** وآخرون مختصون في الشفاء... وأما صيغ الدعاء فأشهرها: "**ببراكة سيدي عقبة بربي إن شاء الله نجيب ولاد ونجيبلك الوعدة**".

وفي هذا الصدد يحدثنا الشيخ «**الطيب ميلودي**» عن رجل من بومرداس لم يرزقه الله بأولاد لمدة عشرين عاما بعد الزواج، ولكنه بعد زيارته للضريح تحقق مراده، فسما ابنه "**عقبة**" ووفى بنذره وأقام وعدة في المنطقة. وفي قصة أخرى مشابهة جاء الابن "**عقبة**" وأقام الوعدة بنفسه وفاء لنذر والده ولعل هذا مظهر من مظاهر تناقل الأجيال لثقافة زيارة الأضرحة، على قلته اليوم.

إن رسوخ فكرة الزيارة واقتياد الضيوف للزيارة تعبر عن رسوخ فكرة عميقة في الوعي الجمعي للناس قوامها قداسة الولي والبركة التي يطرحها على المنطقة ككل.

من مظاهر وطقوس الزيارة أيضا، المسح على جدران الضريح وتقبيله أو الإمساك بشباك الضريح وحتى لمس غطاء الطربوز [1] والوقوف عند كل ركن من أركانه لمن سنحت له الفرصة بالدخول إلى غرفة الضريح، وأما الطواف فلم نشهد ذلك طيلة المدة التي تواجدنا فيها، وهي طقوس التبرك عند العامة.

[1] الطربوز: الغطاء المطرز الذي يغطى به الضريح

المطلب الثاني: زيارة السياح:

إن أكثر الزيارات اليوم هي زيارات السياح، حيث يأتون من مختلف أرجاء الوطن؛ بل وحتى من خارج الوطن، وقد صادفنا أحد هؤلاء؛ مغترب اسمه سمير منهمك في تصوير المكان بكل تفاصيله فانوس، سقف، محراب، منبر، الزخارف... ولأن غرفة الضريح مغلقة فلم يتمكن إلا من تصويره من وراء الشباك؛ وكان يلح على الدخول وأخبرني لأنه سيعود لأجل ذلك مرة أخرى.

لم يفوت الوفد الذي كان ضيفا على المهرجان الدولي الأول للسياحة الدينية فرصة التواجد في المكان وزيارة الضريح والمسجد العتيق ككل، إذ تلقى الجميع شروحات بخصوص تاريخ عقبة ابن نافع وآثاره وكراماته واستشهاده...

أحد الزوار لم يبرح حتى دخل مصلى النساء من أجل مشاهدة **"باب طبنة"** وهو من أقدم الأبواب في المنطقة؛ وهو مصنف من اليونسكو، هندسة المسجد وسقفه المصنوع من جذوع النخيل وجدرانه المزخرفة على الطريقة المغاربية، ومنارته العتيقة، وسواريه التقليدية القديمة، ومحرابه الجميل وفوانيسه وكل تفاصيله الجاذبة لمحبي الجمال، جعلت الضريح في حكم الثانوي من حيث غايات الزيارة ولعل غلق الغرفة التي تحتويه وعدم تركه متاحا للجميع لعبا دورا هاما في التخلي عن غاية لمسه أو تقبيله.

يشكل المركب أحد أهم عوامل جذب هؤلاء السياح أيضا، فبغض النظر عن الضريح فإن المسجد الجديد يشكل جوهرة حقيقية، فهو ذو طابع مغاربي بحت؛ مرصعة جدرانه بالزخارف، راسخة سواريه تحمله، رائع سجاده ومريح، كما أخذ المعهد الوطني لتكوين موظفي الشؤون الدينية والأئمة بعده الوطني فكل مرتاديه بلا استثناء لا بد أن يزورو المكان.

ولعل عقد المهرجان الدولي الأول للسياحة الدينية يضع نصب عينيه أهم هدف أن يكون مسمى عقبة ابن نافع عامل جذب للسياح من داخل الوطن وخارجه، سياح من مختلف الأصناف؛ متصوفة بغرض الزيارة المقدسة، عوام بغرض نيل شرف الزيارة والتمتع بمكان عتيق يعد ثاني أقدم مسجد في الجزائر، وأجانب يعتبرون سيدي عقبة بوابة للتعرف على الزيبان والصحراء عموما انطلاقا منه.

وفي شق آخر فإن قلة مناطق الاستجمام في سيدي عقبة تجعل العقبيين يحجون إلى مركب عقبة ابن نافع لا لزيارة الضريح فقط، بل للاستمتاع بما يحتويه المركب من مساحة خضراء تضم أشجارا ونافورة، ولعل المكان هو الوحيد المهيأ للاستجمام بالمدينة، كما إن الكثير من مرتادي المركب لا يزورون الضريح بل يقصدون المساحة الخضراء مباشرة، اللهم إذا جاءهم ضيوف فإن زيارة الضريح تشبه البروتوكول عندهم، فالزائر لابد أن يزور الضريح.

المبحث الثالث: زيارة الخاصة:

كان المهرجان الدولي الأول للسياحة الدينية قبلة لأهل التصوف الذين استغلوا وجودهم هناك وأدوا زيارتهم للضريح؛ فكان أول ما قاموا به بعد الدخول إلى المسجد الصلاة ركعتين تحية للمسجد ثم الدخول إلى غرفة الضريح وقول الدعاء المأثور: **"السلام عليكم دار قوم مؤمنين؛ أنتم السابقون و إنا إن شاء الله بكم لاحقون"**[1] وقراءة الفاتحة ثم الصلاة الإبراهيمية..

في الزيارات المعتادة لهؤلاء، يقول الشيخ «**عبيد الله شريف الوجداني**» **(شيخ الزاوية القادرية)**: **"من أعظم الواجبات علينا زيارته والدعاء له باستمرار لأنه كان سببا في هذا الفتح الإسلامي، وهذه أصغر حاجة -حسب لفظه- يقدمها الإنسان كتواصل بين السلف والخلف. وقوف الزوار على هذا المكان العظيم المقدس والعتبة الطاهرة الشريفة لهذا الصحابي، دليل على تواصل هذه الأمة مع أجيالها التي سبقتها، ومع صحابي جليل ليس كغيره من الرجال، وهو صحابي جليل أثبت له المؤرخون الصحبة من ناحية أنه حنك له النبي صلى الله عليه وسلم تمرة".**[2]

وفي ذات السياق يقول الحاج «**عبد القادر بلعربي**» **(مقدم الزاوية السنوسية)** عن المغزى من الزيارة: **"تعتبر موروثا حضاريا في تاريخ الأمة، لأننا نعاني اليوم إلحاد في الفكر وميوعة في السلوك وشتات عن المبدأ، زيارتنا لهذا الضريح ما هي إلا زيارة مشروعة لا لبس ولا غبار عليها، لقد ذكر القرآن الكريم صفة الصالحين وأولياء الله وأصفياءه وأتقياءه، قال تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ**

[1] رواه مسلم (249)
[2] فيديو مرفق

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64))"[1].

وأردف قائلا: **"هذه الجلسة هي جلسة روحانية ، جلسة ربانية قرأنا فيها سورة يس ترحما على صاحب القبر وهو سيدي عقبة ابن نافع رضي الله عنه، ثم ختمناها بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما تعلم فإن الفضل موجود في الصلاة على النبي وفي تلاوة القرآن فأردنا أن تكون الصلاة على رسول الله وتلاوة القرآن ترحما على هذا الولي الصالح".**[2]

وبخصوص جواز الزيارة فقد ضلت المسألة جدلية بين فقهاء الإسلام عموما، ولكن أكثر فقهاء المالكية المغاربة انتصروا لجواز الزيارة، فهاهو «**محمد بن جعفر الكتاني** » يسوق كثيرا من آراء العلماء المناصرة لزيارة أضرحة وقبور الأولياء، كقول «**التاودي ابن سودة** »: **"وأما السر في زيارة الصالحين فلأنهم عباد الله المخلصون، وأولياءه المقربون، فهم باب من أبواب رحمته، وخلائف النبوة وسر من أسرارها، وانبسط عليهم جاهها، فُيتوسل بهم إلى الله".**

ويذهب «**نور الدين علي بن أحمد السخاوي** »: **"أن قبور الصالحين لا تخلو من بركة، وأن زائرها والمسلم على أهلها والقارئ عندها والداعي لمن فيها لا ينقلب إلا بخير، ولا يرجع إلا بأجر، وقد يجد لذلك أمارة تبدو له، أو بشارة تتكشف له".**

وأفتى الإمام «**الرملي**» بـ: **"وأما تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم فلا خلاف في جوازه بل ولا كراهة"** وقول الإمام «**الرهوني**»: **"أما ما يفعله الناس من حمل تراب الميت جائز، فما زال الناس يتبركون بقبور العلماء، والشهداء والصالحين".**[3]

وقد تهافت المغاربة على زيارة الأولياء وأقبلوا على تعظيمهم، تقول «**منال عبد المنعم جاد الله** » في كتاب **"التصوف في مصر والمغرب": "أولياء الله هم صفوة عباده تولاهم سبحانه وتعالى بعنايته**

[1] سورة يونس: آية62، 63، 64.
[2] فيديو مرفق.
[3] عبد الإله الغزاوي، مرجع سابق، ص332.

وأكرمهم بنور الإيمان، وحفظوا عهد الله فحفظ عهدهم، وتولى هدايتهم ونصرهم، وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة إليه".

وبالرغم من انبثاق عدة أصوات تنكر على الناس زيارة الأضرحة وتعمل على مناهضة هذا السلوك وتربطه بالبدعة تارة وبالشرك تارة أخرى، كما هو الحال لدى أبي بكر ابن العربي وابن ليون وأبي محمد الشارمساحي ودعاة السلفية اليوم كالشيخ فركوس... فإن الكثير من العلماء بالمشرق والمغرب رأوا في محبة الأولياء وزيارتهم أمرا محمودا ولا يخالف الشريعة في شيء، فهذا «**الإمام الغزالي**» يقول: "**كل من يُتبرك به في حياته يُتبرك به بعد وفاته**" ، ويؤكد «**محمد العربي الفاسي** » -**بخصوص الأولياء**-: "**مازال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى**".[1]

ويروي «**الخطيب البغدادي**» أن الإمام **محمد ابن إدريس الشافعي** قد قال: "**إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى**"، ويروى أن «**محمد الزهري**» قال: "**سمعت أبي يقول قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال إنه من قرأ عنده مائة مرة قل هو الله أحد وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته** "، وعن «**أبا عبد الله بن المحاملي**» أنه قال: "**أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه**"[2].

وليس سوقنا لهذه الأدلة إيمانا منا بصحة هذا السلوك أو بصحة سند هذه الروايات جزما، فليس موضوعنا فقهي؛ ولا صفتنا مختصين في علم الجرح والتعديل، وإنما لبيان أن قوما من العلماء والصالحين المشهود لهم بالخيرية نسبت إليهم الزيارة والتبرك بالقبور؛ وعليها يستند المقرّون بجوازالزيارة.

فمن هنا يبدو أن فقهاء المالكية بالمغرب لم يكونوا دوما متشددين في زيارة الأولياء حيث يعدون هذه الممارسة ضربا من البدعة، وإنما جلهم آمن بهذه الزيارة وانفتح عليها ومارسها في حياته اليومية. كما أن بعضهم تصدى للدفاع عن الأولياء رادا على الهجومات التي شنها أقطاب التيار السلفي.

[1] عبد الإله الغزاوي، نفس المرجع، ص 331.

[2] أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجلد1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص123.

إن أهم الطقوس -**أو الشعائر كما يرتضي أهل التصوف الاصطلاح عليها**- في زيارتهم لضريح سيدي عقبة لم تتجاوز قراءة الفاتحة والوقوف عند الضريح والتأمل؛ ولعل بعضهم يقرأ ورده اليومي بجانب الضريح، كما تكون الصلاة الإبراهيمية حاضرة كثيرا، وغالبا ما يتحلّقون لقراءة سورة **يس** لما لها من فضل على الميت عموما، يقرءونها جماعيا جهارا على الطريقة المغاربية.

إن حرص أهل التصوف على زيارة أضرحة الأولياء والصالحين يعتبر ركنا أساسيا في سلوك المتصوف؛ فالاعتقاد الراسخ بولاية من في القبر بناء على ما شهده له التاريخ من فضل وكرامات وما تناقله الناس عنه من بركات؛ يعد حافزا أساسيا لزيارته والنيل من بركته والإنعام بالسكينة التي تعم مرقده، والدعاء عنده طلبا رغبة ورهبة من الله بجاه الولي وصلاح الولي وكرامة الولي.

❖ **مركب عقبة ابن نافع:**

مدخل المعهد

في سنة 2008 تم تسليم المعهد الوطني للتكوين المتخصص للأسلاك الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف عقبة ابن نافع الفهري. وهو المركب الذي يكوّن الإدارة الخاصة بالشؤون الدينية والأوقاف، ويكوّن الأئمة تكوينا قاعديا مدته ثلاثة سنوات؛ إذ يخرج سنويا حوالي مائة إمام، وفي السنة الدراسية الحالية يكون عبر مستوياته الثلاثة ثلاثمائة (300) إمام متربص.

المكتبة

وبالإضافة إلى معهد تكوين أسلاك الإدارة والأئمة فإن المركب يحوي عدة مرافق كالإقامة والمكتبة والمطعم وأماكن للترفيه، ما يضمن تكوينا داخليا مريحا.

كما بني مسجد ضخم ملاصق للمسجد العتيق يعتبر منارة بحق، فقد بني على الطراز المغاربي العتيق وزخرف على الطريقة المغاربية الفخمة، وهو مجهز بكل الوسائل اللازمة ليؤدي الناس صلواتهم بكل أريحية وخشوع، وهو مسجد يشبه في تصميمه مسجد القيروان الكبير في تونس؛ ليكون المركب

حاضرة علمية وسياحية ومفخرة لسكان المنطقة وللجزائر ككل، وهو يستضيف الاحتفال بمختلف الفعاليات الدينية.

قاعة الصلاة بالمسجد الجديد 1

قاعة الصلاة بالمسجد الجديد 2

المسجد الجديد من الخارج

1

[1] جميع الصور في هذه الدراسة من تصوير الباحث

الفصل السادس: المهرجان الدولي للسياحة الدينية

المبحث الأول: لجان التنظيم و برنامج المهرجان

المبحث الثاني: فعاليات المهرجان

المبحث الثالث: أي دور يمكن أن تقوم به الأنثروبولوجيا؟

المبحث الأول: لجان التنظيم و برنامج المهرجان:

- الرعاية: فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة.
- الإشراف: السيد أحمد كروم والي ولاية بسكرة.
- تسمية التظاهرة: المهرجان الدولي الأول للسياحة الدينية – الصحابي الجليل عقبة ابن نافع الفهري.
- الشعار: السياحة الدينية جسر لتواصل الشعوب.
- المكان: بلدية سيدي عقبة.
- الفترة: من 17 إلى غاية 19 مارس 2018.
- الهيئات المنظمة: بلدية سيدي عقبة – غرفة التجارة والصناعة الزيبان – وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدوليين – مديرية الشؤون الدينية مديرية السياحة – مديرية الثقافة – غرفة الصناعة التقليدية والحرف – الغرفة الجزائرية للتجارة والصناعة.
- الهيئات المنسقة: الشركة الجزائرية للمعارض (SAFEX) – إذاعة بسكرة الجهوية – كل بلديات الولاية – مؤسسة سياحة وأسفار وكالة بسكرة (TVA).

المطلب الأول: الأهداف المرجوة من التظاهرة:

- إعادة الاعتبار للسياحة بالولاية.
- إحياء السياحة الدينية بالولاية.
- التعريف بمختلف المنتوجات المحلية.
- استكشاف مختلف المناطق السياحية بالولاية وإبرازها لمختلف الزوار الوطنيين والأجانب.
- تحفيز الوكالات السياحية المحلية والوطنية من أجل استهداف أكبر عدد من السياح الجزائريين والأجانب ودعوتهم لزيارة مختلف مناطق الولاية.

المطلب الثاني: المنتوجات المعروضة في الصالون:

- مختلف الصناعات والمنتوجات التقليدية.

- لوحات فنية وزيتية مختلفة وفن تشكيلي.
- الألبسة التقليدية.
- مختلف الأكلات الشعبية.
- الخدمات المقدمة من طرف الوكالات السياحية المحلية الوطنية والدولية.
- مخطوطات.
- الهندسة المعمارية ذات الطابع الإسلامي.
- كتب ومجلدات التاريخ الإسلامي في المنطقة.
- الخط العربي والإسلامي.

المطلب الثالث: الضيوف والمشاركين:

- سفراء دول: فلسطين (ضيف الشرف) – العراق – الأردن – المغرب – إيران – ماليزيا – اندونيسيا – بنغلاداش.
- الدول العارضة في الصالون ورجال الأعمال: ماليزيا – اندونيسيا – الأردن.
- الوكالات السياحية: محلية – وطنية – دولية.

المطلب الرابع: برنامج المهرجان:

1- صالون خاص بالعرض.

2- خرجات سياحية للوفود المشاركة الوطنية والأجنبية إلى مختلف المناطق السياحية بالمنطقة.

❖ **اليوم الأول: 17 مارس 2018**

- الإفتتاح الرسمي للتظاهرة.
- جولة بمختلف أجنحة المعرض.
- زيارة المسجد العتيق ومقام عقبة ابن نافع.
- زيارة مقام أبو المهاجر دينار.

- مأدبة غداء على شرف الضيوف بواحة النخيل بمدينة سيدي عقبة.
- زيارة المكان الذي استشهد فيه الصحابي الجليل عقبة ابن نافع رفقة عدد من الصحابة والتابعين
- زيارة المنطقة الأثرية تهوذا وسد فم الغرزة.
- سهرة فنية وأمسية شعرية بفندق النخيل.

❖ **اليوم الثاني: 18 مارس 2018**

- زيارة الولي الصالح سيدي محمد بن موسى بلدية الحوش.
- زيارة المدينة العتيقة خنڤة سيدي ناجي.
- زيارة قلعة الكاهنة بمدينة جمينة.
- مأدبة غداء.

❖ **اليوم الثالث: 19 مارس 2018**

- زيارة الزاوية العثمانية ببلدية طولڤة
- زيارة المسجد الذي بناه عقبة ابن نافع في المنطقة ثم التوجه إلى بلدية برج بن عزوز.
- زيارة الزاوية المختارية بولاد جلال.
- زيارة مقام النبي خالد بن سنان ببلدية سيدي خالد.
- مأدبة غداء.
- زيارة مقام الولي الصالح عبد الرحمن الأخضري بقرية بنطيوس.

المبحث الثاني: فعاليات المهرجان (معرض + زيارة الضريح + ...)

على اعتبار أن أكثر ما يهمنا في المهرجان هو بعض فعاليات اليوم الأول فإننا سنتحدث عنها بالتفصيل، كما سنحاول وضع وصف دقيق مدعم بالصور والتحليلات لما شاهدناه واستنتجناه من حضورنا لهذه الفعاليات ومرافقتنا للوفود والاستماع إلى الشروحات المقدمة من المنظمين والمهتمين...

المطلب الأول: الإفتتاح الرسمي للتظاهرة:

مراسيم الإفتتاح

على الساعة العاشرة والنصف تم الإفتتاح الرسمي بحضور مختلف السلطات المحلية وعلى رأسهم والي الولاية السيد أحمد كروم، والضيوف الذين كان على رأسهم سفير دولة فلسطين التي كانت ضيف الشرف الدكتور لؤي عيسى.

بعد الترحيب بالضيوف تحدث والي الولاية في كلمته الافتتاحية عن سياسة الدولة الجزائرية والنهج الاقتصادي الجديد الذي بدأت تنهجه بعد انهيار أسعار المحروقات؛ التي تمثل المصدر الأساسي للمداخيل، حيث أشار إلى أهمية القطاع السياحي في جلب الاستثمار ورؤوس الأموال من أجل تغطية العجز في المداخيل وبناء اقتصاد قوي ومتنوع، كما أشار إلى الدور الذي تلعبه التنمية الشاملة للأوطان عبر التنمية المحلية القائمة على استغلال الثروات المحلية في زيادة الدخل القومي الوطني وتنويع المداخيل.

ثم عرج إلى الحديث عن السياحة الدينية بوصفها مجالا خصبا للتنمية السياحية في الجزائر، خاصة وأنها تملك إمكانيات ومنشآت كثيرة يمكن التعويل عليها للاستثمار في هذا المجال وجعل الجزائر ضمن أعلى مراتب مناطق الجذب السياحي في العالم، عبر تطبيق طروحات ونظريات حديثة تستغل الإمكانيات المادية والبشرية الموجودة أحسن استغلال.

❖ فلسطين ضيف الشرف:

السفراء

تحدث سفير دولة فلسطين الدكتور لؤي عيسى في كلمته عن فخره واعتزازه بدعوة فلسطين لتكون ضيف شرف المهرجان الدولي الأول للسياحة الدينية الصحابي الجليل عقبة ابن نافع الفهري، ولم يخفي

إعادة توجيه الشكر والثناء للجزائر حكومة وشعبا على وقوفها مع القضية الفلسطينية ودعمها المستمر لها دون كلل، كما كرم السفير الفلسطيني رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة ومختلف السلطات المحلية للولاية عرفانا لهم ولمجهوداتهم.

ونفهم من استضافة فلسطين كضيف شرف أن المهرجان لم يكن سياحيا ذا بعد اقتصادي فقط بل كان ذا بعد سياسي أيضا، فالتعبير عن دعم القضية الفلسطينية يعبر عن عقيدة راسخة عند الجزائريين قوامها مقولة الرئيس الراحل هواري بومدين: **"نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة"**.

المطلب الثاني: جولة بمختلف أجنحة العرض:

كما سبق البيان فإن أجنحة العرض تضمنت عرض (**مختلف الصناعات والمنتوجات التقليدية - لوحات فنية وزيتية مختلفة وفن تشكيلي - الألبسة التقليدية - مختلف الأكلات الشعبية - الخدمات المقدمة من طرف الوكالات السياحية المحلية الوطنية والدولية – مخطوطات - الهندسة المعمارية ذات الطابع الإسلامي -كتب ومجلدات التاريخ الإسلامي في المنطقة - الخط العربي والإسلامي)** ، وإليكم بعض الصور:

حيث قدم العارضون مختلف إبداعاتهم ومنتجاتهم، وهي المنتجات التي كانت أغلبها تراثية وتعبر عن ثقافة منطقة الزيبان، حيث شملت الألبسة التقليدية إضافة إلى الأواني والصناعات الفخارية بصفة عامة، كذلك فإن العرض شمل بعض النماذج الهندسية للبناء المعروف في المنطقة، النمط المعماري الذي يتخذ من البيئة المحيطة مصدرا أساسيا في مواد البناء؛ والذي يعبر عبر تفاصيله وتقسيماته عن سمات ثقافية مميزة ووظائف اجتماعية واقتصادية محددة؛ قدمتها مكاتب دراسات ومهندسين مشاركين في الفعاليات.

المطلب الثالث: زيارة المسجد العتيق وضريح عقبة ابن نافع:

لن نطيل الحديث عن تفاصيل المسجد والضريح بحكم أننا تحدثنا عنهما في موضع آخر، ولكن حديثنا سيكون حول مجريات تنقل الوفد، حيث انتقل من المعرض الذي كان بمحاذاة المسجد إلى داخل المسجد، حيث تكفل الشيخ الطيب ميلودي بتقديم الشروحات اللازمة حول المسجد العتيق وتاريخه وتاريخ الترميمات التي مرت عليه، كما قام بشرح بعض العبارات المكتوبة في المحراب، وقادهم إلى موضع الضريح حيث دخل الوفد إلى غرفة الضريح وقرءوا الفاتحة ثم صلوا على النبي ﷺ، ثم كان الحديث عن باب طبنة وشرح الرموز التي زخرفت عليه؛ وشرح كيف يستدل به على قدم بناء المسجد.

الضيوف داخل غرفة الضريح

الضيوف أمام باب طبنة

صورة جماعية بين الضيوف والكشافة

داخل مسجد الضريح

المبحث الثالث: أي دور يمكن أن تؤديه الأنثروبولوجيا؟

حضينا في اليوم الإفتتاحي للمهرجان بالاستماع إلى محاضرة قيمة للدكتور بشير مصيطفى الخبير الإقتصادي ووزير الاستشراف سابقا، وهي المحاضرة التي سنعتمد عليها في تبيان أي دور يمكن للأنثروبولوجيا أن تؤديه.

قسم الدكتور بشير مصيطفى محاضرته على ثلاثة محاور؛ المحور الأول جعله للمعطيات والمحور الثاني للدروس والمحور الثالث للتوصيات:

المحور الأول: المعطيات:

تحدث عن أن 38% من السياحة العالمية هي سياحة ثقافية روحية، وفي فرنسا بلغ عدد السائحين سنويا ثمانين مليونا (80) وهو العدد الذي يساوي عدد سكان فرنسا 100%.

كما أن أربعة أخماس هذا العدد هدفهم الأول هو الثقافة الفرنسية، أي أن 80% من السياحة الفرنسية هي سياحة ثقافية، وألمح إلى أن الثقافة كلمة شاملة تشمل الدين أيضا حسب علم الاجتماع وإردافا عليه نقول أن الدين هو نسق ثقافي وقد يكون ظاهرة ثقافية أنثروبولوجيا، كما قدم معطى مهما متمثلا في أن رأس مال السياحة العالمية في سنة 2017 بلغ مائة مليار دولار بينما كان نصيب الجزائر من هذا الرقم هو مائتي مليون دولار؛ أي ما نسبته 0,25% فقط.

وعقد مقارنة بين إمكانيات السياحة الثقافية في الجزائر وحظها من الاستثمار مبينا أن الاستثمار لا يواكب مطلقا هذه الإمكانيات الضخمة، ولم يحصر السياحة الثقافية في المنشآت الإسلامية فقط بل تجاوزها إلى كل ما هو ديني مثل كنيسة القديس أوغستين بعنابة وخاصيتها المميزة؛ إذ تعتبر الكنيسة الوحيدة في العالم التي جمعت بين الكاثوليك والأورثوذكس والبروتستانت؛ وهي الكنيسة التي بإمكانها لوحدها جلب مائة مليون سائح سنويا على اعتبار أن عدد أتباع القديس أوغستين عالميا عددهم حوالي 500 مليون مسيحي، كما نضيف إليها كنيسة السيدة الإفريقية في العاصمة وكنيسة سانتا كروز في وهران...

وعليه فإن الجزائر تضم ثروات سياحية وفرص هائلة للاستثمار في السياحة الثقافية/ الدينية فهي إضافة إلى الكنائس تضم مئات الكتاتيب القرآنية والزوايا والطرق الصوفية والأضرحة، ثم فإنه على اعتبار أن الجزائر مصنفة عالميا على أنها دولة صوفية فإنها محل استقطاب صوفي كبير.

في الجزائر حوالي 33 طريقة صوفية، تستقطب 100 مليون حاج سنويا (أي عالميا)، وتعد منطقة الزيبان منطقة استقطاب وعبور؛ فهي منطقة استقطاب لما تتوفره من زوايا، ومنطقة عبور من شرق إلى غرب إفريقيا ومن غرب إلى شرق إفريقيا، كما هي منطقة عبور إلى عمق إفريقيا.

تستقطب الجزائر مليون وستمائة ألف سائح سنويا وهو معدل ضعيف جدا بالمقارنة مع الدول الأخرى التي لا تحوز على ما تزخر به الجزائر من إمكانيات سياحية.

المحور الثاني: الدروس:

من الدروس المستفادة هي تجربة بعض الدول في الاستثمار السياحي؛ حيث بلغت بعض الدول ما نسبته 120% من معدل السياح؛ حيث تجاوز عدد السياح عدد السكان الأصليين رغم أن تلك الدول تحوز على إمكانيات متوسطة أو ضعيفة؛ ولكن بفضل الخطط الإقتصادية الذكية ومشاريع التهيئة الحضرية والمرفقية والإشهار تمكنت من استقطاب عدد كبير من السياح.

المحور الثالث: التوصيات:

تعاني الجزائر من خمول سياحي، وللنهوض بالسياحة الثقافية/ الدينية خاصة يجب:

1- إحصاء كل ما يمكن استغلاله في هذا المجال.

2- اقتراح خلق لجنة وزارية مشتركة تتكفل بجرد الممتلكات السياحية الدينية، والتخطيط لأفضل السبل من أجل استغلالها سياحيا.

3- التمسك بالمرجعية الدينية الوطنية ومكافحة التطرف.

4- توفير الأمن والبنى التحتية وشبكة طرقات متينة.

5- الانفتاح على الشعوب الأخرى وعدم التقوقع والانغلاق على الذات.

6- تسهيل إجراءات السفر ومنح التأشيرة خاصة للمريدين الذين لو تمكن 1 مليون مريد منهم فقط من الدخول إلى الجزائر سيدر مبلغ عشرة مليار دولار كمداخيل.

7- كما يمكن أن يدر استقطاب 1 مليون حاج مسيحي إلى كنيسة القديس أوغستين فقط مبلغ عشرة مليار دولار أيضا.

8- إنشاء صندوق استثمار سياحي.

9- إنشاء شبكة للترويج السياحي، منها قنوات تلفزيونية ومواقع إلكترونية ومراكز إشهار وإعلام.

10- تنمية قطاع الخدمات وبناء الفنادق حول الحواضر السياحية.

11- تنمية سوق صرف العملة وتطوير المعاملات البنكية وبناء فروع بنكية جوارية.

- إن الدور الذي يمكن أن تضطلع به الأنثروبولوجيا في تحقيق تنمية سياحية ثقافية/ دينية لكبير جدا إذا استغل بالطريقة الملائمة، فالأنثروبولوجيا كما يقول كلايد كلوكهن تضع الإنسان أمام مرآة تتيح له النظر إلى ما فيه من اختلافات لا حصر لها، فالأنثروبولوجيا هي الأداة التي نفهم بها أنفسنا، وبالتالي فهي مفتاح تعرفنا على ذواتنا، تاريخنا، هويتنا، تراثنا، ثقافتنا... فإذا كان الموضوع الذي تستهدفه الأنثروبولوجيا بالدراسة هو الثقافة، فالثقافة بالنسبة للأمة كالروح بالنسبة للجسد، فأمة لا تعرف ذاتها أمة ميتة.
- إن أول خطوة تتيح لمساعي الحكومة في تحقيق تنمية سياحية ثقافية/ دينية، هي أن تتعرف على إمكانيات الجزائر في المجال، ولا يوجد أجدى ما يقوم بهذا العمل أكثر من الأنثروبولوجيا، فعملية جرد المعالم الدينية والتراثية واستقصاء تاريخها ورموزها ودلالاتها ووظائفها وأدوارها التي اضطلعت بها عبر التاريخ لا يتم إلا بتدخل هذا العلم بأدواته ومناهجه وشموليته في البحث.
- إن أحسن استغلال لهذه المعالم لا يمكن أن يتحقق بدون توظيف الأنثروبولوجيا التي تتيح دراسات وبحوث تعريفية واستشرافية هامة تبين كيفية استغلالها بالطريقة التي تحافظ على مكانة هذه المعالم من جهة وتكون حافزا لجذب السياح من جهة أخرى.

نتائج الدراسة:

نخلص إلى النتائج التالية:

أولا: النتائج الخاصة بالتساؤل الأول:

❖ **كيف يساهم الطابع المعماري لمسجد الضريح في استقطاب الزوار؟**

- **الطابع المعماري المغاربي**، فالمسجد مرصع بالزخارف الجبصية والخشب المنحوت، ومحرابه تحفة فنية تذكرنا بعصور غابرة، كما أن سواريه مؤثثة بالخشب من الأسفل وملبسة بالجبص من أعلى وجدرانه وسقفه مطرزان بأجمل النحوت. ذلك ما أعطاه بعدا جماليا جذابا لكل صاحب ذوق.
- **البعد المجالي للمسجد العتيق** ، إذ أن هندسته تجعله مفتوحا على مختلف تفاصيله الداخلية؛ فمن يدخل إليه يرى على مد بصره غرفة الضريح والمحراب ومدخل مصلى النساء، كما أن أبوابه متاحة على جوانبه ما يعطي سهولة الولوج إليه من كل مكان.
- **إن منارته العتيقة**؛ هي من أقدم أبنية المسجد وأقلهم تعرضا للتغيير، تحيلنا على زمن بناء المسجد العتيق، وإن كان بناءه بلا تاريخ مضبوط إلا أنه يعود بالتقريب إلى القرن الهجري الثاني.
- **البعد التاريخي للعمارة** ، فالمسجد تتداخل به أنماط معمارية مميزة، ففيه لمسات الدولة العبيدية والدولة الزيرية والدولة الحمادية والدولة العثمانية أيضا؛ وكل هذا بتوليفة مغاربية استثنائية.
- **الأثاث التاريخي**، فباب طبنة المزخرف بالرموز الدالة التي شرحناها، و كذلك صخرة ابن حيوة التي مثلت شاهدا لقبره وهو من أوائل ناشري الإسلام في المنطقة، والصخرة الكوفية التي مثلت شاهد قبر عقبة ابن نافع والتي كتبت قبل ظهور التنقيط والتشكيل... ومواد البناء المحلية وطريقة البناء القديمة تضع الزائر في رحلة عبر الزمن.
- **القبتان**، فقبة المسجد هي أقدم بناء في المكان حيث لم تجدد أبدا بل زادت دعامتها فقط؛ وهي فرصة لمن يريد مشاهدة النمط المعماري العربي البسيط، أما قبة الضريح فهي تحفة فنية؛ فبلونها المذهب وزخارفها الجذابة وكتابتها الأنيقة تعد محل إعجاب وإقبال.

ثانيا: النتائج الخاصة بالتساؤل الثاني:

❖ **هل حافظت الزيارة على أغراضها المقدسة أم طغت عليها الأغراض السياحية؟**

- **زيارة عموم الناس:** حافظت الزيارة ذات الأغراض المقدسة على وجودها من طرف عموم الناس، فالزوار يأتون من كل مكان، لكن انخفضت نسبتهم كثيرا قياسا بسنوات مضت على الأقل، وأغلب الزوار من العنصر النسوي، ويمارس هؤلاء طقوس إشعال البخور والشموع كبقايا طقسية تعود جذورها إلى ديانات وثنية حسب اعتقادنا، وهي طقوس لا تزال راسخة في الاعتقاد الشعبي عند كبار السن على الأقل؛ وهم أكثر الزائرين. كما تلعب الحكايات والقصص المختلفة عن سيدي عقبة و كراماته و بركته دورا كبيرا في إضفاء جو القداسة والتبجيل للمكان.
- **زيارة السياح:** في الوقت الذي انخفضت فيه الزيارات ذات الأغراض المقدسة ازدادت نسبة الزيارات ذات الأغراض السياحية، فالسياح يأتون بكثرة خاصة منذ 2008 تاريخ تحويل المسجد العتيق إلى ما يشبه المتحف، ويأتون للاستمتاع بعمارة المسجد والتعرف على تاريخه وتاريخ عقبة ابن نافع؛ كما يأتون بقصد مشاهدة بعض الطقوس والشعائر التي يقيمها الناس سواء العامة أو أهل التصوف. ويلعب المركب الجديد دورا هاما في جذب السياح أيضا، فهو منشأة حضارية كبيرة تضم معهدا لتكوين الأئمة بمرافقه الضرورية ومسجدا ضخما يعد معلما.
- **زيارة أهل التصوف:** قلة قليلة من الزوار تكون من أهل التصوف، فيأتي هؤلاء لرسوخ عقيدة عندهم مفادها أن زوار قبور الأولياء الصالحين ينالون من بركة الولي وكراماته؛ ويمن عليهم الله بإجابة دعواتهم عندهم، ويملأ ذلك أرواحهم بعبق الإيمان ويمنحهم القدرة على الترقي في مقامات هذا الدين؛ وبلوغ مقام الإحسان... كما أن من شعائرهم أثناء الزيارة قراءة سورة **يس** متحلقين وجاهرين بها، والتسبيح والتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ، فالولي في المعتقد الصوفي الطروقي هو وسيلة المريد في التشفع عند الله وطلب المعونة والإغاثة.

- ومنه فإن الزيارة المقدسة حافظت على وجودها؛ ولكنها في تراجع مستمر، بسبب تغير النظرة والإعتقاد بخصوص الأولياء خاصة مع المد السلفي. وفي المقابل تجد الزيارة السياحية لها مكانا يتسع يوما بعد يوم.

ثالثا: النتائج الخاصة بالتساؤل الثالث:

❖ **ما هي مظاهر استغلال الدولة للضريح كمجال للاستثمار السياحي؟**

- **إقامة الاحتفاليات الخاصة بالمناسبات الدينية**، فالمسجد الجديد هو محل إقامة مختلف الفعاليات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكذلك رأس السنة الهجرية وعاشوراء.
- **المهرجان الدولي للسياحة الدينية**، إذ أقيم المهرجان في طبعته الأولى هذا العام (2018)، عرف مشاركة الكثير من الدول، وفيه تم عرض مختلف أنواع الصناعات التقليدية المحلية؛ ما يدل على البعد الاقتصادي الذي يسعى إليه المنظمون، فاسم عقبة ابن نافع لا يعني الضريح فقط أو استقطاب أهل التصوف فحسب، بل يرمى إلى استغلال اسم وشهرة عقبة ابن نافع في الترويج للصناعات الوطنية التقليدية والحرفية خاصة.
- كما تعد زيارة مختلف الأماكن السياحية في منطقة الزيبان مؤشرا واضحا على دخول الجزائر في سياسة اقتصادية جديدة قائمة على تنمية الفرص السياحية وتعزيز استقطاب السياح وتنمية السياحة، فتسمية المهرجان باسم عقبة ابن نافع يعد استغلالا جيدا للاسم سياحيا من أجل الترويج للسياحة بمنطقة الزيبان ككل.
- **البعد السياسي**، إن اختيار فلسطين كضيف شرف الطبعة الأولى للمهرجان يعبر عن عقيدة راسخة عند الجزائريين عبر عنها الرئيس الراحل هواري بومدين بقوله: "نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة".
- استقبال وزير الاستشراف سابقا الدكتور بشير مصيطفى واقتراح محاضرة بعنوان السياحة الدينية ودورها في دعم النمو الإقتصادي، ما هو إلا دليل واضح على اتجاه الجزائر نحو السياحة وبالخصوص السياحة الدينية طالما أنها بيئة خصبة لها، وذلك في إطار السعي نحو تغطية العجز في مداخيل المحروقات على المدى القريب؛ وخلق اقتصاد متنوع وقوي على المدى البعيد.

رابعا: نتائج عامة:

❖ **ما هي التحولات الثقافية لظاهرة زيارة الأضرحة بالزيبان؟**

زيادة على ما ذكرناه في ما سبق من نتائج فرعية، سنحاول وضع حوصلة للنتائج في ما سيأتي:

- إن ظاهرة زيارة الأضرحة ظاهرة دينية وثقافية كانت ولا تزال مستمرة إلى اليوم.
- إن زيارة الأضرحة شكل من أشكال التدين الشعبي، ولها أصول مرتبطة بالديانات الوثنية.
- إننا يجب أن نفرق بين نوعين من الزيارة:

أ. زيارة عوام الناس: ونقصد بها زيارة أصحاب الثقافة الشعبية والسذج من الناس.

ب. زيارة الخاصة: ونقصد بها زيارة أهل التصوف، وهي الزيارة التي لها وجه شرعي.

- لقد نشأ نوع ثالث من الزيارات وهي زيارة السياح، إذ يعكف هؤلاء على زيارة الأضرحة للتعرف على أشكال التدين الشعبي والتمتع بالإبداع الهندسي لمختلف أبنية الأضرحة.
- إن الدولة الجزائرية رسمت سياسة اقتصادية جديدة مؤخرا قائمة على استغلال الإمكانيات السياحية للبلاد بما فيها من سياحة دينية، لأجل النهوض بالاقتصاد الوطني وتنويعه.

✓ ومنه يمكننا القول بأن زيارة الأضرحة عرفت فعلا تحولات ثقافية عميقة، فالزْيارة -بسكون الزين- فقدت بريقها أو تتجه نحو ذلك، بالمقابل يجد أهل التصوف الطروقي تضييقا من أصحاب المد السلفي، وهو الذي منعهم من الحفاظ على نسق الزيارات إلى الأضرحة درءا للشبهة.

✓ كما فرضت الضائقة المالية التي تمر عليها الجزائر على الحكومة بحث سبل استغلال هذه الأبنية الدينية سياحيا، في محاولة لإحياء ثقافة زيارة الأضرحة بلون جديد، وهو اللون السياحي للعامة واللون السياحي الديني لأهل التصوف، وذلك من أجل إعادة إنعاش الخزينة العمومية بمصادر جديدة للمداخيل.

خاتمة:

كان **دوركهايم** يعتقد أن تأثير الدين سينحسر مع تطور المجتمعات الحديثة، وسيحل مكانه التفكير العلمي. ويشترك دوركهايم مع ماركس في الرأي بأن الدين التقليدي هو على وشك الإختفاء. ويقول دوركهايم في إحدى عباراته المشهورة: **"لقد ماتت الآلهة القديمة"** ، غير أنه يعترف أن الدين قد يستمر وإن كذلك بأشكال بديلة أخرى. ومازالت المجتمعات الحديثة تعتمد على الممارسات الطقوسية لتأكيد تماسكها الإجتماعي وقيمها الأساسية. وليس الدين سلسلة من المشاعر والأنشطة، بل هو القالب الذي تتحرك فيه أنماط التفكير لدى الأفراد في الثقافات التقليدية.[1]

إننا نلمس صحة طرح **دوركايم** بأن الدين التقليدي، أو ما نفضل أن نصطلح عليه بالتدين الشعبي - على وشك الإختفاء، فعبادة الأجداد التي تفرعت منها طقوس زيارة الأضرحة وتقديس الأولياء لا أثر لها اليوم، كما نتوافق معه بقوله بأن الدين التقليدي قد يستمر وإن كان بأشكال مختلفة، فقد زال الإعتقاد بعبادة الأجداد ولكن بقيت الطقوس المتعلقة به كزيارة الأضرحة.

إننا نعتقد بأن الدين هو القالب الذي تتحرك فيه أنماط التفكير لدى الأفراد سواء في الثقافات التقليدية أو الحديثة، ومهما كان نوع الدين (أرضي، سماوي، طوطمي...) فإنه يؤدي دوره في قولبة فكر الأشخاص -**حسب الإصطلاح الفيبري**- وهو ما نظرنا إليه وهو يقف بشموخ عند بعض من أجرينا معهم مقابلات ودردشات في محيط ضريح سيدي عقبة، فأغلب مكونات المعتقد الديني لدى هؤلاء متعلق ببركة الولي وكراماته، و برضاه وسخطه، و بزيارته والتضرع عند قبره، وأغلب المعاملات اليومية من إبرام عقود التجارة والزواج والشهادات وحلف اليمين، وإن كانت لها أصول إسلامية إلا أنها مقولبة طقسيا واعتقاديا بشكل شبه كامل مع فكرة قداسة الولي وقدرته العجيبة الإلهية ربما.

ونتمنى أن تنال هذه الدراسة إعجاب من يقرأها ويستبصر مكنوناتها ويستنطق حروفها ويجري عليها منهجها شبه الأنثروبولوجي، وأن يثمن ما استجد فيها وأن يتجاوز قلة خبرتنا، ويعذر ما فيها من زلل.

[1] أنتوني غدنز، علم الإجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، لبنان. ص581، 582.

توصيات:

إن تحويل الاهتمام إلى مجال الاستثمار في السياحة الدينية يقتضي مايلي:

- **بناء شبكة طرقات سليمة تقنيا** : فالطرقات تمثل عصب حركة النقل، سواء كانت مخصصة للسيارات أو لسكك الحديد، فإن من أهم عوامل تحفيز السياح على زيارة الأماكن المقدسة سهولة الوصول إليها.
- **بناء فروع بنكية أو صرافات للعملة بشكل مكثف** : فالسائح الذي يعاني من أجل تبديل العملة أو استخراج أمواله لن يكون مستعدا للعودة إلى المكان مرة أخرى.
- **بناء مستوصفات أو مستشفيات في الأماكن القريبة من المعلم السياحي**: فضمان الرعاية الصحية للسائح يمثل حافزا آخر يدعوه لزيارة المكان.
- **توفير الأمن**: الأمن هو أهم عنصر من عناصر الترويج للسياحة، فلا أحد يعرض نفسه للخطر.
- **ترميم المعالم السياحية الدينية والعناية بها** : فكل معلم يطاله التهميش لا بد أن تتدهور حالته ويصبح عامل تنفير بدل أن يكون عامل جذب.
- **إنشاء بطاقية وطنية أو قاعدة بيانات إلكترونية لهذه المعالم** : فإجراء جرد لها، متبوع بإنشاء شبكات إعلامية من قنوات تلفزيونية وإذاعية ومواقع إلكترونية للترويج لها عامل جذب مهم.
- **بناء قرى سياحية أو فنادق توفر الحد الأدنى من الخدمة على الأقل** : إن اختيار المواقع المناسبة لبناء هذه المنشآت أهم من إنشاءها بحد ذاتها، فالأماكن المحيطة بهذه المعالم لا بد أن تكون الخيار الأول.
- **تكوين إطارات مختصة في الإرشاد السياحي**: إن إتقان اللغات الأجنبية لا يكفي ليكون المرشد مرشدا، بل لا بد أن يعرف المرشد جل التفاصيل المتعلقة بالمكان الذي يعمل به (تاريخ...).
- **السعي لتكون هذه المعالم ذات طابع دولي** : من خلال السعي لتدوينها في منظمات الأمم المتحدة والمنظمات العالمية المختلفة.
- **التوعية**: إعداد المجتمع لتقبل وجود السياح في محيط المعلم، عبر حملات توعية وتثقيف دورية.

المراجع:

❖ القرآن الكريم:

1. سورة يونس.

❖ الأحاديث النبوية:

2. صحيح مسلم.

❖ المعاجم:

3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادق للطباعة والنشر ، بيروت، 1968، المجلد التاسع.
4. أبو العلاء المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ط6، دار القلم، الكويت، 1982.
5. أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
6. جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الإجتماع، ترجمة أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف بسام بركة، ط 1، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، 2011.
7. شهاب الدين البغدادي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد 14، مطبعة حكومة الكويت، 1974.
9. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1، دار المشرق، بيروت، 2000.

❖ الكتب:

10. أبي القاسم القشيري، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1989.
11. أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مجلد 1، دار الكتب العلمية، بيروت.
12. آرنست غلنير، المغرب مرآة للإنسان، ترجمة أبو بكر باقادر، مجلة الإجتهاد، ع 47-48، دار الإجتهاد، بيروت لبنان، 2000.
13. اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
14. أنتوني غدنز، علم الإجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
15. بسام العسيلي، قادة فتح مصر والمغرب، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2012.

16. حسن الشرقاوي، الحكمة الباطنية، ط1، بدون دار نشر، 1975.

17. دائرة المعارف الإسلامية، ج 32، مركز الشارقة للإبداع الفكري.

18. دراز محمد، الدين، ط1، دار القلم، الكويت، 1982، ص 25، 26.

19. زهية جويرو، الإسلام الشعبي، دار الطليعة، ط 1، بيروت، لبنان، 2007.

20. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ط 11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

21. عبد الإله لغزاوي، مونوغرافية المقدس بمدينة مكناس، ج1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1.

22. عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006.

23. عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط2، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

24. عبد الفتاح عبد الله بركة، الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، ج2، مجمع البحوث الإسلامية.

25. عبد القادر بومعزة، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج 1، ط 1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة الجزائر.

26. عبد الله عبد الغني غانم، قراءات وتطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، 2004.

27. فتحية محمد ابراهيم، مصطفى حمدي نشواني، مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان، دار المريخ للنشر الرياض، 1988.

28. فراس السواح، دين الإنسان، ط 4، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2002.

29. محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط 1، 1978.

30. محمد زوزيو، ظاهرة تقديس الأولياء وأثرها على الحياة الاجتماعية، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب 2013.

31. محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي، ط1، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2006.

32. محمد محمود القاضي، عقبة ابن نافع الفهري فاتح إفريقية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1999.

33. معن خليل عمر، مناهج البحث في علم الإجتماع دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

34. ميرسيا الياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ط 1، دار دمشق، 1987.

❖ **المجلات:**

35. إيمان هنشيري، الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع 17 2017.

36. زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-، ع 4، 2010.

37. صالح بن قربة، فتيحة شلوق، العمارة الدينية الأثرية بمنطقة الزاب ومتطلبات توظيفها في التنمية السياحية مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر -بسكرة، العدد 34/ 35، 2014.

38. عبد العالي بوعلام، الدور الثقافي والديني للطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، مجلة الواحات للبحوث والدراسات. غرداية، ع 15، 2011.

39. علي حيدر الجميل، خصائص التنظيم الفضائي للأبنية الدينية -دراسة مقارنة لأبنية العبادة في حضارات منتخبة-، جامعة الموصل.

❖ **الرسائل:**

40. بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الإجتماعية، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2009.

41. سبوح رشيد، المعتقدات الشعبية في الجزائر -العين نموذجا-، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001.

42. طرطار نسيمة، النسق العمراني لولاية بسكرة بين القطبية الجاذبة ووظيفة المجال، رسالة ماجستير، كلية العلوم التكنولوجيا، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013.

43. عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1985.

44. مهتاري المولودة زرقة فائزة، أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري، أطروحة دكتورا في الفنون الشعبية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006.

❖ **المراجع باللغة الأجنبية:**

45. A .Moussaoui, Espace et sacrée au Sahra, CNRS édition, Paris, 2002.P33.

❖ **مواقع إلكترونية:**

46. https://www.youtube.com

الملاحق:

❖ **الإخباريون:**

1. **الإخباري الرئيسي: الشيخ الطيب ميلودي** ؛ هو إمام مسجد مالك بن أنس، ومكلف بالمسجد العتيق بسيدي عقبة، وهو من أعيان المنطقة.
2. **الإخباريون الثانويون:**
   - **الآنسة س س**، طالبة جامعية ومن زوار الضريح.
   - **الآنسة عائشة**، من سكان المنطقة.
   - **الشيخ العربي**، من زوار الضريح.
3. **المبحوثين:** عددهم 12، وهم متفرقون بين زوار للضريح وسكان للمنطقة وسياح ومتصوفة.

❖ **أسئلة المقابلات:**

اعتمدنا على المقابلة الحرة، حيث ارتكزنا في طرح أسئلتنا على ثلاثة محاور أساسية:

1. الزيارة وما تحتويه من طقوس ومعاني ومظاهر وأهداف.
2. مدى استمرارية الظاهرة وأشكالها.
3. الطابع المعماري وبناء المسجد والضريح.

وقد كان الاهتمام بمحور دون آخر حسب تنوع المبحوثين.

أما طريقة عملنا فكانت عبر مطاوعة المبحوث أثناء تكلمه عن الموضوع ومشاركته الحديث عبر أسئلة أو تعليقات نحاول من خلالها توجيهه بشكل غير ظاهر إلى ما نريده في بحثنا، وذلك من أجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات التي نستهدف البحث عنها.

❖ **الملاحظة المباشرة:**

عكفنا طيلة مدة البحث قدر الإمكان على التواجد في مسجد الضريح ومراقبة الزوار وماذا يفعلون، ومحاولة التقرب إليهم والدردشة معهم من أجل فهم ما وراء زياراتهم.

فهرست:

الإهداء: III
الشكر: IV
الملخص: V
قائمة المحتويات: VI
مقدمة: أ
الفصل الأول: المدخل المنهجي للدراسة: 10
1- التعريف بالموضوع: 11
2- دواعي الاشتغال على الموضوع: 11
3- قيمة الموضوع وأهميته: 12
4- الإشكالية: 13
5- أهداف الدراسة: 14
6- الإجراءات المنهجية للدراسة: 14
أ. جمع المعطيات الإثنوغرافية: 14
- الإخباريون: 14
- المقابلة الحرة: 16
ب. منهج الدراسة: 17
- منهج الوصف المكثف: 18
- المنهج الوظيفي: 19
7- مجال الدراسة: 19
أولا: التعريف بمنطقة الزيبان: 20
ثانيا: الموقع: 21
ثالثا: بسكرة عاصمة الزيبان: 21
رابعا: تهوذا – سيدي عقبة: 23
8- الدراسات المشابهة: 23
9- صعوبات الدراسة: 24
الفصل الثاني: المفهومات الأساسية في البحث: 25
المبحث الأول: الثقافة، الدين، التصوف، السياحة الدينية: 26
1- الثقافة: 26
2- الدين: 27
3- التصوف: 29
4- السياحة الدينية: 30
المبحث الثاني: الزهد، الطريقة، المريد، الكرامة: 31
1- الزهد: 31
2- الطريقة: 31
3- المريد: 32
4- الكرامة: 32

المبحث الثالث: الولي، الاحتفال، الزيارة، الضريح: 33
1- الولي: 33
2- الاحتفال: 36
3- الزيارة: 37
4- الضريح: 37
الفصل الثالث: مدخل إلى تاريخ زيارة الأضرحة 39
المبحث الأول: الموروث الثقافي والمعتقدات الشعبية: 40
المطلب الأول: ماذا نقصد بالموروث الثقافي؟ 40
المطلب الثاني: مقدمة عامة في المعتقدات الشعبية: 41
المبحث الثاني: زيارة الأضرحة بقايا وثنية وواقع ملموس: 42
المطلب الأول: زيارة الأضرحة بقايا وثنية: 42
المطلب الثاني: تقديس أضرحة الأولياء واقع ملموس: 43
المبحث الثالث: من التصوف إلى تقديس الأولياء: 45
المطلب الأول: التحول من التصوف إلى تقديس الأولياء: 45
المطلب الثاني: تنوع الأولياء: 46
1. الأولياء الرسميون: 46
2. الأولياء الشعبيون: 47
3. ولاية الحمقى والمجاذيب: 47
الفصل الرابع: ضريح عقبة ابن نافع (شكل المزار وعمارته) (بالصور): 49
المبحث الأول: مورفولوجيا مسجد الضريح: 50
المطلب الأول: روايات التأسيس: 50
المطلب الثاني: وصف مسجد الضريح: 51
أولا: الوصف الخارجي: 51
ثانيا: الوصف الداخلي: 51
المطلب الثالث: باب طبنة: 54
المبحث الثاني: وصف حالة الضريح: 56
المبحث الثالث: البعد المجالي للعمارةووظائفه: 58
المطلب الأول: البعد المجالي للعمارة: 58
المطلب الثاني: وظائفه: 59
أولا: وظيفة القباب: 59
ثانيا: الأبواب والنوافذ: 60
ثالثا: الأقواس والزخارف والكتابة: 60
الفصل الخامس: زيارة الضريح بين الأغراض المقدسة والأغراض السياحية: 61
المبحث الأول: التعريف بشخصية الولي: 62
تمهيد: 62
المطلب الأول: نسبه وولادته: 62
المطلب الثاني: نشأته: 63

المطلب الثالث: جهاده: 63
المطلب الرابع: استشهاده: 65
المطلب الخامس: كراماته: 66
- ماء فرس 66
- فرار السباع والحيات 67
المبحث الثاني: زيارة العامة: 68
المطلب الأول: زيارة عموم الناس: 68
المطلب الثاني: زيارة السياح: 71
المبحث الثالث: زيارة الخاصة: 72
- مركب عقبة ابن نافع: 75
الفصل السادس: المهرجان الدولي للسياحة الدينية: (بالصور): 77
المبحث الأول: لجان التنظيم وبرنامج المهرجان: 78
المطلب الأول: الأهداف المرجوة من التظاهرة: 78
المطلب الثاني: المنتوجات المعروضة في الصالون: 78
المطلب الثالث: الضيوف والمشاركين: 79
المطلب الرابع: برنامج المهرجان: 79
المبحث الثاني: فعاليات المهرجان (معرض + زيارة الضريح + ...) 80
المطلب الأول: الإفتتاح الرسمي للتظاهرة: 81
- فلسطين ضيف الشرف: 81
المطلب الثاني: جولة بمختلف أجنحة العرض: 82
المطلب الثالث: زيارة المسجد العتيق وضريح عقبة ابن نافع: 83
المبحث الثالث: أي دور يمكن أن تؤديه الأنثروبولوجيا؟ 84
المحور الأول: المعطيات: 84
المحور الثاني: الدروس: 85
المحور الثالث: التوصيات: 85
نتائج الدراسة: 87
أولا: النتائج الخاصة بالتساؤل الأول: 87
ثانيا: النتائج الخاصة بالتساؤل الثاني: 88
ثالثا: النتائج الخاصة بالتساؤل الثالث: 89
رابعا: نتائج عامة: 90
خاتمة: 91
توصيات: 92
المراجع: 93
الملاحق: 96
- الإخباريون: 96
- أسئلة المقابلات: 96
- الملاحظة المباشرة: 96